# المحكم في العقيدة

البناء الفكري للأمة الوسط (١)




# دراسة لأصول العقيدة في القرآن الكريم

محمد عياش الكبيسي







١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنضيد والطباعة

مطبعة أنوار دجلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وقفة احترام

لو كنت منحنياً لغير الله لانحنيت لها

ولكني أقف أمامها باحترام...

داعياً المولى الكريم...

أن يجزيها سعادة الدارين...

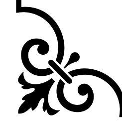
تلك التي أرضعتنا حب الإيمان...

وأقامت في بيتنا مدرسة للقرآن...

معلمة الخير وداعية الحق...

أمي...

محمد



# مقدمة الناشر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الأمة في مرحلتها الغثائية الراهنة، والمتسمة بالوهن، والتفرق، والشتات، والاضطراب في عالم التصورات والأفكار، لفي حاجة ماسة إلى تجديد بنائها الفكري، وتنظيم عالم التصورات والأفكار لديها، وذلك بالرجوع إلى كتاب ربها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ودراسته دراسة متجردة، ومن ثم استخلاص المناهج في كل مجال من مجالات الحياة .

وإن أولى المناهج بالاستخلاص من القرآن منهج العقيدة، إذ هي أهم موضوع جاءت به الرسالة الإسلامية، وهي الأصل الذي بني عليه دين الإسلام، وقامت عليه حضارة الإسلام، وأسست عليه كل العلوم الإسلامية كعلم التفسير والحديث والفقه.. وغيرها .

ومما يؤكد أولوية استخلاص منهج العقيدة من القرآن وأهميته أن جل المؤلفات في العقيدة لا تخلو من تأثر بمنهج البحث في العلم الموسوم بـ"علم الكلام"، وهو منهج لم ينشأ أساساً لتأصيل العقيدة الإسلامية وإنما للدفاع عنها ضد المشككين والطاعنين؛ فبالتالي هو منهج لا يبني العقيدة الصحيحة في النفوس، ولا يحرك القلوب، ولا يشحذ الهمم لطاعة الله -عز وجل-، فهو منهج نظري بحت، يقوم على الجدل والمناقشة، ولا يرتقي البتة إلى مستوى المنهج القرآني في وضوحه وتكامله وواقعيته وتأثيره .

ورغم أن هناك محاولات لتجاوز ما علق بموضوع العقيدة من آثار منهج "علم الكلام"، ومحاولات لعرض موضوع العقيدة صافياً نقياً كما هو في القرآن الكريم، إلا أنها لا تكاد تخلو من تأثر بتداعيات ذلك المنهج، ولم تلتزم التزاماً تاماً بمنهج القرآن، ولم تستوعب كل أصول العقيدة والمسائل المهمة المتعلقة بها، ولا يزال الموضوع بحاجة للمزيد من المحاولات .

والمحاولة التي بين أيدينا للشيخ الفطن والداعية الموهوب الدكتور محمد عياش الكبيسي -حفظه الله- تشترك مع المحاولات السابقة في الهدف، إلا أنها تمتاز عنها في الأسلوب والشمول والالتزام بالمنهج، فقد استخلص المؤلف -حفظه الله- العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم واضحة جلية، مؤثرة فاعلة، مستوعباً ما يحتاجه المسلم من عقيدته في ميدان العمل والتكليف، تاركاً المباحث التي تدخل في دائرة الجدل والتكليف.

وإننا نأمل أن يكون هذا الكتاب حجر الأساس في البناء الفكري للأمة، لذا حرصنا أن يكون أول كتاب ننشره في هذه السلسلة "البناء الفكري للأمة الوسط"، ويسرنا أن يكون باكورة إنتاجنا .

وإيماناً منا بأهمية الكتاب وتميزه حرصنا على إخراجه في شكل لائق بمحتواه، وأن ندعمه بنماذج توضيحية لأهم أفكار الكتاب، بعد موافقة المؤلف وتأييده، وتعاونه معنا في ذلك، فجزاه الله خيراً .

ونحن إذ نتشرف بتقديم الكتاب إلى القارئ الكريم، لنسأل الله –عز وجل– أن يجزل الثواب لمؤلفه على جهده المشكور، وأن يسخرنا جميعاً لخدمة هذا الدين، وإحياء الأمة من جديد، لتكون بحق الأمة الوسط الشاهدة على الأمم، كما كلفها الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ... وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾ [ البقرة: ١٤٣ ] .

**الناشر**



# مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فلقد ظهرت معجزة القرآن -إضافة إلى نظمه وبيانه- في ذلك الإنسان الذي صنعه القرآن، وذلك الجيل الذي ربّاه، وتلك الأمة التي أخرجها من الظلمات إلى النور .

ذلك الكتاب الذي قرأه الجاهل فأصبح به إماماً، وقرأه الضعيف فأصبح قوياً مقداماً، وقرأه البخيل فأصبح كريماً جواداً .. قرأه المتخاصمون فملأهم حباً ووئاماً، وقرأه الأشتات فأصبحوا خير أمة أخرجت للناس علماً وخُلقاً وفضلاً .

ذلك الكتاب الذي نزل على تلك الجبال السوداء فجعلها منارات للمسترشدين، وانساح في الصحراء فجعل منها ينابيع الهدى تهفو إليها قلوب الملايين، من الأندلس إلى شواطئ جاكرتا .

وكلما انتكست الأمة عبر تاريخها الطويل، مدّ القرآن إليها يده، وأثبت لكل ناظر وسامع أنه المعجزة الخالدة ..

واليوم ونحن نعيش نكسة مرحلية مثل تلك النكسات، لكنها غريبة في مسارها، أليمة في واقعها، خطيرة في نتائجها، ألا يجدر بنا أن نرجع إلى ذلك الدواء الذي جرَّبناه مراراً، فكان الضماد لكل جرح والمَخرج من كل مأزق؟.

إننا نقولها بكل أمانة: إن النكسات الماضية -على خطورتها- كانت نكسات عرضية، لم تُفْقِد الأمة ثوابتها، ولم تمزّق هويتها، لكنها تغفو ثم تستيقظ والقرآن في صدورها، ونداء (الله أكبر) في أسماعها، والكعبة بين عيونها.

لقد آن لنا أن ندرك الخطر الأكبر الذي يتهدد مستقبل وجودنا على هذه الأرض كأمة لها تاريخها، وحضارتها وهويتها.

وآن لنا أن ندرك أيضاً أن كل اجتهاد – تحت أي مسمّى جاء- يبعدنا عن ثوابت القرآن، فهو إسراع في ضياعنا، وإجهاز على بقايا الأمل فينا.

إن الاجتهادات التي لا تضبطها قواعد من عقيدة الأمة لا يمكن بأي حال أن تجتمع عليها الأمة، والواقع والتاريخ شاهدان.

إن القرآن ما زال هو الكتاب المقدس عند كل المسلمين، الذي لا يجرؤ كائناً من كان أن يشكك بحرفٍ مما فيه، وإن دراسةً لأسس العقيدة تستند إلى القرآن وحده، لاشك أنها ستسهم في توحيد منطلقات الأمة ومبادئها الأساسية.

وهذا الكتاب[١] خطوة على هذا الطريق، التزمتُ فيه بمنهج محدد وهادف؛ تجاوزتُ فيه كثيراً مما علق بأصول الدين من نظرات بشرية قاصرة، أو اجتهادات مذهبية متباينة، واقتصرت على آيات الذكر الحكيم، ووجدت فيها ما يغني عن كل ذاك، لعله يكون لبنة في أساس البناء لمشروع الأمة الواحدة، الأمة الوسط: ﴿... وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخيراً فإني أرجو من القارئ الكريم أن لا يبخل بنصيحة لأخيه، أو دعاء بظهر الغيب.

والحمد لله رب العالمين ..

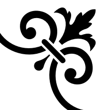
**المؤلف**

**الدوحة**

**١/ رمضان/ ١٤٢٣هـ**

**٦/ نوفمبر/ ٢٠٠٢م**

(١) وأصل هذا الكتاب جزء من كتاب صدر للمؤلف بعنوان «العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين» ثم دعت الحاجة إلى إخراجه مع بعض الإضافات في كتابين: الأول هذا الكتاب، والثاني سيخرج قريباً – إن شاء الله– باسم «الموجز في مناهج المتكلمين».



# الفصل الأول
# مدخل عام

- المبحث الأول: العقيدة والإيمان
- المبحث الثاني: العقيدة والاستخلاف
- المبحث الثالث: العقيدة والولاء
- المبحث الرابع: سمات عامة لمنهج القرآن في عرض العقيدة
- المبحث الخامس: آثار المنهج القرآني





# المبحث الأول
## العقيدة والإيمان

لم يرد مصطلح العقيدة في القرآن الكريم، ولم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من كتب السنة، فهو مصطلح حادث شأنه شأن «الفقه» و «أصول الفقه» و «التفسير» و «الحديث» و «علم الجرح والتعديل» .. إلى آخر هذه المصطلحات التي ظهرت تلبية للتطور الذي حصل في الدراسات العلمية بصورة عامة والدراسات الإسلامية بصورة خاصة، مما تطلّب تعدداً في المصطلحات يتناسب مع كثرة التبويب والتفريع في هذه العلوم.

لكن لا يختلف اثنان أن موضوع العقيدة هو أساس هذا الدين ومبادؤه الأولى التي وضعها القرآن الكريم تحت مصطلح «الإيمان».

إلا أن مصطلح «الإيمان» نفسه في القرآن الكريم أطلق على معانٍ كثيرة، فهل مصطلح «العقيدة» يضم كل هذه المعاني أيضاً؟.

بدايةً يمكن إجمال كل المعاني التي وردت تحت اسم «الإيمان» في القرآن الكريم باتجاهين:

الأول: الإيمان الذي يتناول معنى التصديق والاقتناع، دون التنفيذ والعمل، بل يكون العمل نتيجة لهذا الإيمان وثمرةً من ثماره، وليس داخلاً في ماهيته، ولنتدبر هذه الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [ البينة: ٧ ].

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة العصر: ١-٣].

﴿ ...وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ... ﴾[البقرة: ١٧٧ ].

إن هذه الآيات تعطف الأعمال على الإيمان، وتجعل الإيمان مقدمة وأساساً لهذه الأعمال، فالإيمان قناعة، والعمل تنفيذ.

وبهذا المعنى وردت أحاديث كثيرة منها: حديث جبريل المعروف وفيه: " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ

بالْبَعْث الآخر» ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الإسْلامُ؟ قَالَ: «الإسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ))[١].

الثاني: الإيمان الذي يشمل التصديق مع العمل، فيكون العمل على هذا المعنى جزءاً من الإيمان وداخلاً في ماهيته، ولنتدبر هذه الآيات:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [السجدة: ١٥].

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٤].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[الأنفال: ٢-٤].

وبهذا المعنى وردت أيضاً أحاديث كثيرة؛ منها: حديث (( الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ))[٢].

بل ورد في القرآن إطلاق الإيمان على الصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٣].

والإيمان هنا: الصلاة على ما قاله ابن عباس والبراء بن عازب وقتادة والسدي والربيع وغيرهم من المفسرين –رضي الله عنهم أجمعين–،[٣] بل ونقل الإجماع على هذا[٤].

ومع أني لا أرى حاجة للبحث في التوفيق بين هذين المعنيين؛ لأنه يمكن القول ببساطة إن العمل الصالح هو من لوازم الإيمان ونتائجه وإن لم يدخل في حقيقة مسمّاه، وإطلاق اللفظ على ما يلزم منه معروف في اللغة وشائع في الاستخدام، فالقرآن يقول: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾[غافر: ١٣ ] .

---

(١) رواه مسلم. السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ١/ ٥٤، ونحوه البخاري، التجريد الصريح ١/ ١٣ .

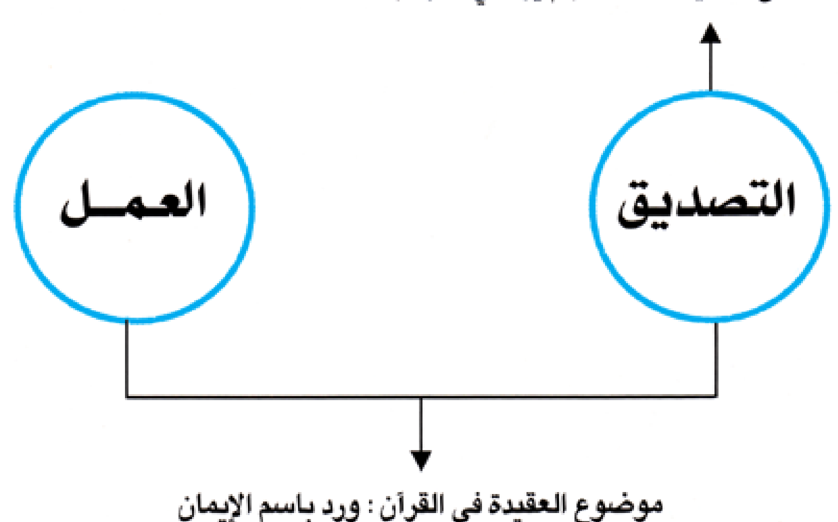
(٢) رواه البخاري ، التجريد الصريح ١/ ٩ .

(٣) تفسير ابن عطية ٢/ ١١ .

(٤) السراج الوهاج، لصديق حسن خان ١/ ٣٤ .

والذي ينزل إنما هو الغيث الذي ينتج عنه الرزق كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [ فاطر : ٢٧ ].

والـذي يهمنـا هنـا أن مصطلح العقيـدة لا يتناول – بـكل الأحـوال– إلا المعنى الأول للإيـمان؛ فـلا يبحث علـم العقيدة في أحـكام الفقه أو الأخـلاق، وإنما موضوعـه «الإيمان بالغيـب» الذي هو أسـاس الإسـلام وقاعدتـه الأولى، وإن كان الهدف من هـذا الإيمان هو تقويم السلوك، وعبادة الله وحده، وإعمار الأرض بالعلم والعمل .




❊ ❊ ❊

## المبحث الثاني
## العقيدة والاستخلاف

خلـق الله الإنسـان وأهبطه على هـذه الأرض لغاية حددها هو -سـبحانه- يوم أن قال لملائكته: ﴿ ...إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالخلافة هي رسـالة الإنسـان في الحياة، وتقويم الإنسـان إنما يكون بمقدار تحقيقه لهذه الرسالة، هكذا كما يتعامل الإنسان مع الأشياء التي يصنعها بيده، فهو يصنع الساعة لضبط الوقت، ويصنع القلم للكتابة،ويصنع السيارة لقطع المسافات، وبقدر ما تحقق هذه الأشياء تلك الغايات تكون صالحة، وبقدر ما تبتعد عما صنعت له تكون فاشلة.

وبهـذا الميـزان البدهـي يُوزنُ الإنسـان نفسـه، فهو صالـح إذا حقق الغاية مـن وجوده، وفاشل إذا ابتعد عن تلك الغاية، ولنستمع إلى القرآن:

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القيامة: ٣١-٣٦]، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦].

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١-٢].

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[ الأنعام: ٧٠ ].

وإذا صدق الإنسـان مع نفسـه وأراد أن يبتعد عن اللهو والعبث فلا بد أن يسـأل نفسـه هذه الأسئلة الثلاثة: من الذي خلقني؟ وماذا يريد مني؟ وما هي النتيجة؟ .

هـذه الأسـئلة الثلاثة لابـد أن يكون الجواب عنها واضحاً قبل البدء بـأيِّ عمل، وكل عمـل أو منهـج في الحيـاة لا ينطلق من أجوبـة واضحة على هذه الأسـئلة فلابـد أن يصيبه العمى والشطط.

وقـد أجاب الإسـلام بجواب شـامل مفصل مقنع عـن كل هذا، فالله هـو الخالق، هذه قضية القرآن الأولى التي اهتم بها عرضاً واستدلالاً ونقاشاً، لينطلق بعدها إلى النقطة الثانية؛

وهـي: أن الله إنما خلقنا لغاية عظيمـة، هي الخلافة في الأرض، وأن هذه الخلافة إنما تتحقق بعبـادة الله وحـده: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [ الذاريات: ٥٦]، والعبادة إنما هي الخضوع الكامل لأمر الله وشرعه؛ لأن معرفة الله المجردة من دون معرفة أمره ونهيه لا تثمر شيئاً في ميدان العمل، ومن ثم كان مبحث «الرسول والرسالة» مكرساً للإجابة عن هذا السؤال الثاني، الذي هو الحلقة الثانية بعد الإجابة عن السؤال الأول، وهي الحلقة التي تربـط بـين الإيمان القلبي بالله الخالق وبين الواجب العملي على هذه الأرض، فالرسـول هو الذي يبلغ «رسالة الله» إلى «خلق الله» .

ثم ينتقل الإسلام إلى السؤال الثالث، ليفصل القول في النتيجة بمنتهى الوضوح والبيان: الجنـة والنعيم الأبدي للمؤمنين الطائعـين، والنار للكافرين المارقين، وهذا الأصل هو المتم لمـا قبله، إذ الإنسـان بطبيعته لا يندفع للبذل وتحمـل التكاليف إلا أن يكون وراء هذا البذل والعنـاء مـا يحقـق رغبة في الإنسـان، مادية كانت أم معنويـة؛ ولذا فصل القـرآن نعيم الجنة والرضا الإلهي والخلود في دار السـعادة الأبـدي، ليدفع هذا المخلوق لأداء وظيفته على أتم الوجـوه، فإن تمـادى في غيّه وآثر لذَّة الدنيا العاجلة فالقرآن يوجّـه نظره إلى الجانب الآخر: النـار والغضـب الإلهي .. وآيات القرآن في كل هذا أكثر من أن تحصى، وسـتأتينا مفصلة إن شاء الله.

هـذه الأجوبة هي التـي تكوّن ما نسـميه «العقيدة» وحـين نقول «العقيدة الإسـلامية» فمعنـى هذا أجوبة الإسـلام - وهو الدين الذي جاء به خاتـم النبيين محمد ﷺ - على هذه الأسئلة وما يتعلق بها[1].

هـذه الأجوبـة الثلاثة ضمت مباحـث كثيرة، وغالبهـا أجوبة تفصيلية للأسـئلة الثلاثة نفسـها، بمعنى أن تلك الأسـئلة قابلة للتفصيل، ففي السـؤال الأول من الممكن أن نفصل ونفرع فنقول: الله هو الخالق لكل شيء، لكن أعمالنا أنخلقها نحن أم يخلقها الله؟ إذا أجاب الديـن عن هذا السـؤال فمعنى هـذا تكوين مبحث رابع في العقيدة، وإذا سـألنا تفريعاً عن السـؤال الثاني: كيف تصل رسـالة الله إلى رسـوله؟ فإذا أجاب الدين عن هذا السـؤال بأن قـال: عن طريـق الملائكة فمعنى هذا تكويـن مبحث خامس؛ وحينما نفرع سـؤالاً آخر: ما

---

(١) ولـذا اعتبرت أصول الدين ثلاثة: الإيمان بالله، والإيمان بالرسـل، والإيمان باليوم الآخر، وأكثر كتب الكلام مكرسة لهذه المسائل الثلاث، فتراها تبدأ بالإلهيات ثم بالنبوات ثم بالسمعيات، وأغلب ما يذكرون في السمعيات «اليوم الآخر» .

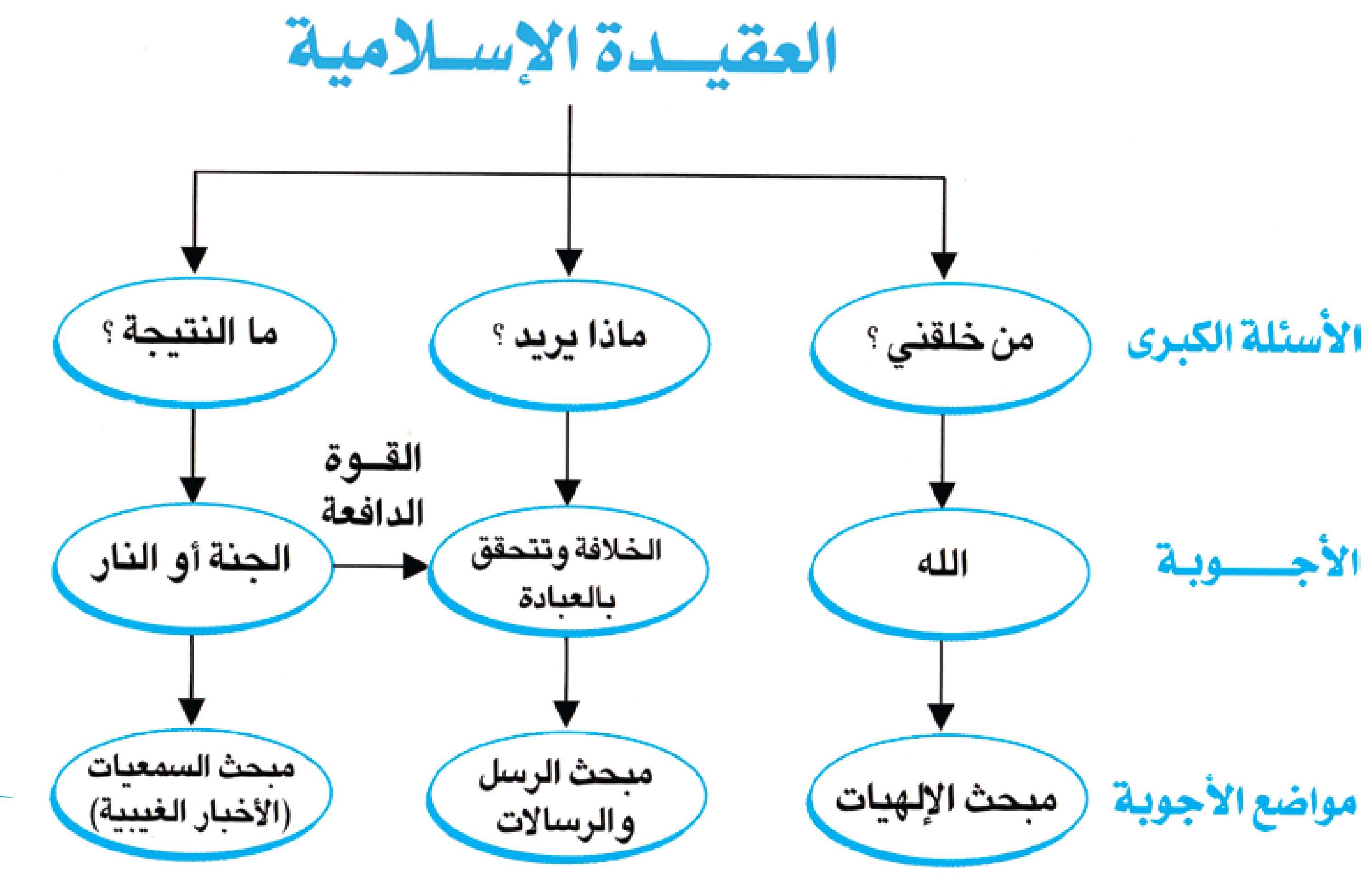
حقيقة الرسالة التي جاء بها الرسول؟ ويجيبنا الدين عنها بأنها الإسلام"أو "القرآن والسنَّة" فمعنى هذا تكوين مبحث سادس؛ لهذا ورد عن الرسول محمدﷺ أنه عرف الإيمان بهذه الأجوبة الستة فقال: (( أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ))[1] وهذه الستة قد تكون أكثر كلما تفرعت الأسئلة، فيمكن أن يتفرع عن الكتاب "الإيمان بأنه خالد" و"الإيمان بأنه معجز" و"الإيمان بأنه محفوظ من التحريف" و"الإيمان بأنه الرسالة الخاتمة" وهكذا، ولكن الحقيقة أن كل هذه التفريعات من الممكن أن تختصر بضم بعضها إلى بعض حتى ترجع إلى ثلاثة.

ومن الممكن أن يفهم الإنسان الأجوبة الصحيحة المختصرة عن هذه الأسئلة الثلاثة ثم ينطلق إلى ميدان العمل، ميدان الخلافة، إذ أن وظيفته الأولى هي هذه، إنها -والله- مقاولة عمل، يعرف العامل مَن ربُّ العمل، وكيف يتسلم منه التوجيه، وما هو أجره، وبعد هذا فلا يحسن بالعمال أن ينشغلوا بهذه ويقفوا عندها، بل الساحة تنتظرهم.

هكذا فهم السلف عقيدتهم، وكل سيرهم وأخبارهم الجماعية والفردية تشخص بهذه الحقيقة: أنهم عرفوا الله، وعرفوا أوامره عن طريق رسوله، وعرفوا يوم الحساب والجزاء، فانطلقوا يعمرون الأرض بمنهج الله كما أمرهم الله.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ١٥٧، والبخاري نحوه، فتح الباري: ٨/ ٥١٣، والترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٨ وغيرهم .


العقيدة الإسلامية
الأسئلة الكبرى
من خلقني؟
ماذا يريد؟
ما النتيجة؟
الأجوبة
الله
الخلافة وتتحقق بالعبادة
الجنة أو النار
القوة الدافعة
مواضع الأجوبة
مبحث الإلهيات
مبحث الرسل والرسالات
مبحث السمعيات (الأخبار الغيبية)

# المبحث الثالث
# العقيدة والولاء

إن أخطر ما يرتبه القرآن على مفهوم العقيدة أو "الإيمان" هو تقسيم المكلفين من بني آدم إلى دائرتين منفصلتين: الأولى تضم المؤمنين، والثانية تشمل الكافرين، والمؤمنون هم الذين يلتقون على أصول هذه العقيدة الواضحة "الإيمان بالله" و "الإيمان بالرسول والرسالة" و "الإيمان بيوم الحساب"، والكافرون هم الذين يختلفون مع المؤمنين في واحدة من هذه الأصول.

فقد قال القرآن: ﴿...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

وهذا لأن هذه المعتقدات تناقض الأصل الأول "الإيمان بالله".

ثم يقول القرآن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء.

ويقول أيضاً: ﴿...وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا لمناقضته للأصل الثاني «الإيمان بالرسول والرسالة».

ثم يقول القرآن: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ ق، ويقول أيضاً: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الأنعام، وما هذا إلا لأنهم شكوا في الأصل الثالث من أصول هذه العقيدة «الإيمان بالحساب».

وقد رتب القرآن على هذا الفصل بين دائرة «المؤمنين» ودائرة «الكافرين» أحكاماً كثيرة لا يتسع المجال هنا لذكرها لكنّا نشير إلى أكثرها أهمية:

١ - البراءة من الكافرين والولاء للمؤمنين، فمن آيات البراءة لنتدبر:

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ التوبة، ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤ ]، ومن آيات الولاء للمؤمنين لنتدبر: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦]. ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء.

وواضح من هذه الآيات وسياقها أن القرآن يؤصِّل لمشروع الأمة من خلال هذه الثوابت التي تميزها عن غيرها، وهي ثوابت تتناسب مع مكانة الإنسان ورسالته في هذه الحياة، بخلاف الأسس التي تقوم عليها الأمم أو الكائنات الأخرى، حيث تتميز من خلال لون البشرة أو حدود الجغرافيا أو الأعراف أو الأنساب!! مما لا دخل للمرء فيه، وليس له قدرة على تغييره.

٢- إن عقيدة الولاء هذه لا تعني التصادم بين هاتين الدائرتين بقدر ما تعني التمايز والمفاصلة، وهو تمايز ضروري لمعرفة الحق من الباطل، والموقف الصحيح من الموقف الفاسد.. أما إذا اتضح هذا فيمكن التعايش بالضوابط الشرعية المعروفة والتي لخصها القرآن بقوله: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩].

بل إن القرآن جعل مهمة إنقاذ الكافرين من كفرهم هي مهمة المؤمنين وواجبهم رحمة بالكافرين وشفقة عليهم من الضياع الدنيوي والعذاب الأخروي، فالقرآن يقول وهو يضرب لنا المثل من المؤمنين الأوائل:

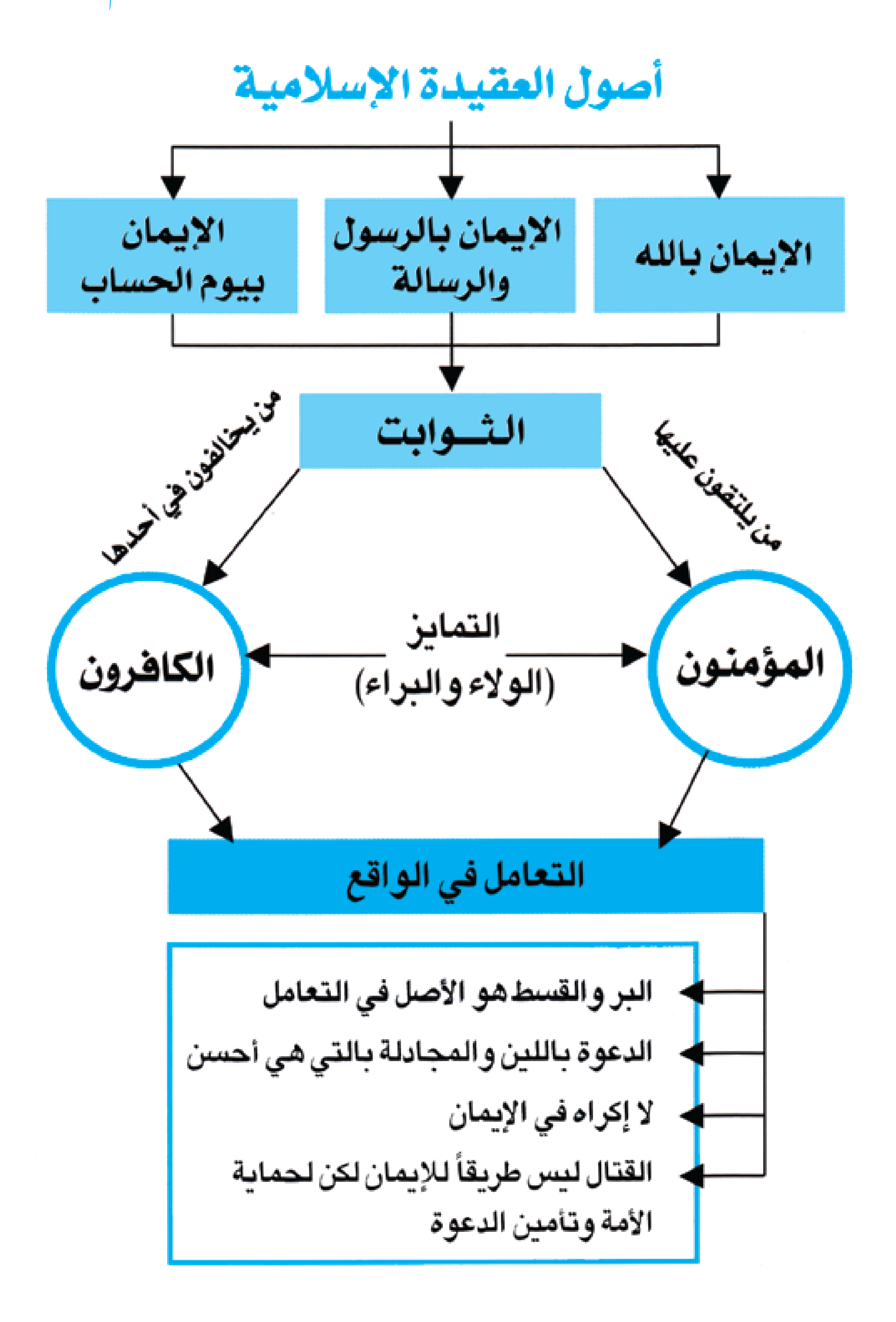
﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ طه، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ هود.

وبما أن الإيمان تصديق واقتناع فلا يمكن أن يكون الإكراه طريقاً إليه: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وإنما الطريق الدعوة والحوار والحجة والبيان: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ... ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأما القتال فلا يمكن أن يكون طريقاً للإيمان كما أنه ليس هدفاً مشروعاً بنفسه، لكنه قد يكون الحل الأخير لحفظ الأمة، ودرء المخاطر عنها، وإزالة العقبات عن طريق تحقيق رسالتها في هذه الحياة: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ القصص، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الصف.

إن من يؤمن بهذه الرسالة العظيمة ويدرك أنها الغاية من خلق الإنسانية أصلاً، يدرك بالضرورة مدى الحاجة إلى هذا الشد الحازم في عقيدة الولاء والبراء، كما أدرك ذلك جيل القرآن الأول أصحاب رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊


أصول العقيدة الإسلامية
الإيمان بالله
الإيمان بالرسول والرسالة
الإيمان بيوم الحساب
الثـوابت
من يلتقون عليها
من يخالفون في أحدها
المؤمنون
الكافرون
التمايز (الولاء والبراء)
التعامل في الواقع
البر والقسط هو الأصل في التعامل
الدعوة باللين والمجادلة بالتي هي أحسن
لا إكراه في الإيمان
القتال ليس طريقاً للإيمان لكن لحماية الأمة وتأمين الدعوة

## المبحث الرابع
## سمات عامة لمنهج القرآن في عرض العقيدة

لا ريب في أن المنهج القرآني لا يُجارى ولا يُبارى، ولا نريد هنا أن نفصّل هذه الحقيقة، غير أننا سنشير بأصابعنا من بعيد إلى السمات الواضحة التي امتاز بها القرآن الكريم:

### السمة الأولى:

إن العقيدة التي جاء بها القرآن عقيدة عملية، ونقصد أن القرآن جاء بعقيدة متناسبة مع واقع الإنسان من حيث قدرته العقلية والروحية والنفسية، ومن حيث الوظيفة التي كلف بها هذا الإنسان، فمسائل العقيدة كلها في القرآن دافعة للإنسان لتحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الله – تبارك وتعالى– ومن اجلها أنزله على هذه الأرض.

وليس في القرآن ما يذهب بالإنسان بعيداً عن ميدان التكليف، نعم قد يتحدث القرآن عن الغيب لكن لا يتحدث إلا بالمقدار الذي يثمر عملاً صالحاً وسلوكاً حسناً، فهو لا يتحدث عن الغيب حديثاً فلسفياً نظرياً، ولنأخذ بعض الأمثلة من الغيب القرآني:

١ – في فصل "الأسماء والصفات" لا تجد اسماً لله تعالى أخبرنا الله به إلا وله تأثير عملي في سلوك الإنسان: فالعاصي الذي يردد: الله، الرحمن، الرحيم، الغفور الودود، لا شك أنه يتيقن أن معصيته لن تحول بينه وبين الخير أبداً، فليستغفر وليتب ولا ييأس ولا يقنط، وإذا ردد المكابر المعاند: الله، القوي، الجبار، القهار، شديد العقاب .. ونحو هذا فإن هيبة هذه الأسماء تحطم كبرياءه في داخله، وتقوده إلى الميدان الصحيح، وإذا ردد الجاهل الغافل: الله، العليم، السميع، البصير، وعرف معنى هذه الأسماء فقد يؤوب لرشده، فهذه الأسماء كلها واضحة المعنى بينة التأثير.

ولكن ماذا لو حدثنا الله عن العلم أهو هو؟ أم هو غيره؟ أم لا هو هو ولا هو غيره؟ إن القرآن يستطيع أن يجيبنا عن هذه الأسئلة، ولكن لماذا يجيبنا؟ بل لماذا نسأل؟! فإذ لا فائدة عملية فإن القرآن يسكت.

ربما يقول قائل: كيف بالصفات الخبرية، التي اختلف فيها المتكلمون، وكانت سبباً في صراعهم وشقاقهم؟...

**والحقيقة أن الصفات الخبرية ليست هي التي فرقت المتكلمين بدليل:**

أ- إن أخطر المسائل الخلافية وأولها لم يكن في الصفات الخبرية، بل في الصفات البينة الواضحة، لقد اختلفوا في صفة "الكلام" وصفة "الإرادة" ثم في باقي الصفات ومن وجوه كثيرة، فمرة اختلفوا في معانيها وحقائقها، ومرة في زيادتها على الذات أو عدم زيادتها، ومرة في عددها... وهكذا.

ب- إن الصفات الخبرية نزلت في قوم أجناس وأشتات، فيهم العلماء وفيهم الأميون، فيهم المؤمنين المصدقون، وفيهم الكافرون المنافقون، وفيهم أهل البادية وأهل الحضر، وكل هؤلاء لم يواجهوا هذه المشكلة التي واجهها المتأخرون، وإذا كان المؤمنون سكتوا عنها إيماناً وتصديقاً أو ورعاً وأدباً فما الذي منع مشركي العرب أو أهل الكتاب من أن يثيروا هذه المشكلة، سيما أن القرآن تحداهم أيما تحدٍّ، وأظهر عجزهم أمام القاصي والداني، فلو كان في القرآن ألفاظ تستعصي على الفهم أو أنها تحتمل معاني بعيدة عن لسان العرب لما سكت هؤلاء عن إثارة هذه المشكلة، لكن سكوتهم بل وإقرارهم بفصاحة القرآن وبيانه دليل على أن الذي أحدثه المتكلمون من خلافات حول هذه الألفاظ لم يكن من طبيعة هذه الألفاظ وتركيبها، وإنما من فلسفات وتصورات مسبقة حاول المتكلمون أن يقرؤوا من خلالها نصوص القرآن فاضطربت الرؤية وتباينت الآراء.

إن الصفات الخبرية ليست مصطلحاً قرآنياً، وإنما هو اصطلاح أطلقه المتكلمون على بعض النصوص المتعلقة بالله -تعالى-، والتي قد تأتي لقضية بعيدة عن محل التنازع، ولكن المتكلمين لا يعدمون وسيلة لإثارة الإشكالات حول هذه الآيات، مثلاً:

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ الطور.

فإن السياق واضح، والقضية التي جاء القرآن لبيانها بعيدة كل البعد عما تنازع فيه المتكلمون فيما بعد من قضايا غيبية متكلفة، لا ينبني عليها عمل، وليس هنا محل تفصيل هذه النزاعات، ونكتفي بما يشير إليه الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- «أما النصوص الآخرى فلا تحتاج إلى تأويل لأن المعنى فيها ظاهر، مثل قوله سبحانه: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾، ﴿ ... وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾، ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ... ﴾ الطور.

فلا يدور بخلد أحد أن السفينة بعين الله – سبحانه– ولا أن محمداً ﷺ في عين الله، وإنما المراد بذلك أن السفينة تجري برعاية الله وعنايته وتسخيره لها وحفظه لها، وأن محمداً ﷺ تحت رعاية مولاه وعنايته وحفظه وكلاءته، وهكذا قوله في حق موسى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ أي تحت رعايتي وحفظي[1] وقد أجاد وأفاد.

٢- في فصل «النبوات» حدثنا القرآن عن كل ما من شأنه أن يدفع بالإنسان إلى الأداء الأفضل في وظيفته، ولنأخذ بعض الأمثلة:

أولاً: يذكر القرآن كثيراً تأييد الله لأنبيائه ورسله بالمعجزات القاطعة بصدقهم فيذكر مثلاً: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء، و﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الشعراء، و﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ .. ﴾ آل عمران، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة.

ثانياً: يذكر القرآن كثيراً من صفات هؤلاء الصفوة، فتراه يقول: ﴿ ...إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة، و﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

ثالثاً: يذكر القرآن الدفاع عن الرسل والرد على خصومهم وتهديدهم بالجزاء العادل، واقرأ مثلاً: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، و﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الأنعام.

رابعاً: يفصل القرآن كثيراً في القصص النبوي، ولا يذكر رسولاً إلا ويذكر جهاده مع قومه، وصبره عليهم، ونتائج الصراع، كل هذا بتكرار وتأكيد وتنويع حتى يخيل إليك أن القرآن كله كتاب قصص وتاريخ.... وما هو كذلك .

خامساً: يبين القرآن حق الرسول ﷺ على أمته في الحب والاتباع والأدب، ويكفي أن نعرض هذا النموذج:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحجرات.

---

(١) «تنبيهات»: ص ٢٧- ٢٨ .

هـذه أبرز النقاط التي أكدهـا القرآن في موضوع «النبوات» في حين لم يرد في القرآن ذكر لأوصـاف الأنبياء الخَلْقية، أو لحالتهم الاجتماعيـة، أو للغاتهم، أو طريقة أكلهم أو شربهم، أو أعمارهـم، ونحـو هذا، فلـماذا؟!..، بل لماذا يفصل لنا القرآن قصة موسـى عليه السـلام مع فرعون تفصيلاً دقيقاً ولا يحدثنا ولا مرة واحدة عن طريقة موسـى في العبادة: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة؟ بله التفصيل في أكله وشربه.

إن الـذي يـدرك أن القـرآن هـادف في كل حرف فيه، وأنـه جاء لغاية كبـيرة، وأنه يدفع المؤمنين به إلى تحقيقها، لا يسـتغرب من كلِّ مـا قصّه القرآن علينا من أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام، إنـه يريد أن يقول لنا: إنكم ورثتهم، وإن المهمـة التي كلف بها الأنبياء لم تمـت بموتهم، وإنكم بعـدُ محتاجون إلى ذلك المعين الثر من مسـيرتهم وتجربتهـم، فماذا أنتم فاعلون؟.

٣- في فصل «السمعيات» اليوم الآخر والعوالم الغيبية كالملائكة والجن، ترى القرآن لا يحدثـك إلا بما نفعـك ودفعك إلى العمل، فغالب حديثه عن اليـوم الآخر ترهيب وترغيب وإنذار بالحسـاب... وهكذا، ويعرض كل هذا بوصف وأسـلوب يكاد يخلع القلوب هيبة ورعباً، أو لذة وأُنسـاً، ويحدثك عن الملائكة لا عن عددهم أو معيشـتهم أو أكلهم وشربهم ونومهم وتناسلهم، لا، وإنما لأمور تتعلق بك أنت يا إنسان، إنهم يراقبونك، يحصون عليك كل كبيرة وصغيرة، وهم يستغفرون لك، وهم على استعداد لنصرك على أعداء الله ...إلخ، وحدثـك عـن الجـن، عن شـعب لا يختلـف كثيراً عن الشـعب الآدمـي من حيـث الغرائز والقـدرة عـلى الخير والـشر، إنه ينقل لـك تجاربهم وأحوالهـم المتعلقة بك، وكرّس السـهم الأكـبر للحديـث عن الذين يزينّون لك الباطل، ويحاولون إغواءك كما أزلّوا أبوينا من قبل: آدم وحواء، وكل هذا فيه من التحذير والنصح ما هو بطريق العبارة أو الإشـارة، وكل هذا ليستقيم الإنسان على الجادة الصحيحة الموصلة إلى الغاية النبيلة «سعادة الدارين»[1].

### السمة الثانية:

وهي متعلقة بالأولى ومرتبطة بها، وخلاصتها: أن العقيدة القرآنية عقيدة عامة، تناسب جميع المكلفين، لأنها جاءت لهم جميعاً:

---

(١) وقد بحث هذا مفصلاً في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان، وعلى هذا نرى كيف استطاعت عقيدة القرآن أن تقنع مختلف المستويات الفكرية والاجتماعية وغيرها، ودفعت بالجميع إلى الغاية العظيمة.

إنك تستطيع أن تقدم عقيدة القرآن إلى الطفل الصغير، كما تستطيع أن تقدمها إلى الفيلسوف الكبير، وتستطيع أن تقدمها للمرأة في مطبخها، كما تقدمها للقائد في سوح الوغى، وتستطيع أن تقدمها لمن يعيش في القرن الحجري، أو لمن يعيش في عالم الذرة والطاقة الشمسية.

وإدراك السبب سهل ويسير، فإن من يهدف إلى شيء صادقاً فإنه يسعى إليه، والقرآن هدف إلى أن يكون للناس كل الناس، فاتخذ المنهج الكفيل بتحقيق هذه الغاية، واتبع الأسلوب القادر على إقناع الناس جميعاً، وسيأتينا شيء من هذا الأسلوب في السمة الخامسة إن شاء الله.

### السمة الثالثة:

الشمولية، ونقصد بها: أن القرآن لم يترك زاوية من زوايا العقيدة التي يحتاجها الإنسان إلا وبيّنها، وسيأتينا هذا مفصلاً إن شاء الله في المباحث القادمة، ولكننا هنا نحاول الإجابة على بعض الشُّبَه التي قد تثار في هذا المجال:

**الشبهة الأولى:** قد يقول قائل: فما تقولون في السنة النبوية المطهرة؟ أليست جاءت بأحكام اعتقادية كثيرة؟ والصحيح أن السنة مع كونها من الله أيضاً لأن الله قال عن نبيه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم، إلا أن الذي يبدو أن الله لم يمنح السنة مهمة تأصيل العقيدة وبيان ما يحتاجه الناس منها، إن هذه مهمة القرآن الذي تكفل الله بحفظه، وكأن الله تعالى أراد أولاً أن تقترن مباحث العقيدة بأسلوب القرآن المعجز لتكون أكثر إقناعاً وقبولاً، ثم أراد الله أن يحفظ كل جوانب العقيدة بما يحفظ به قرآنه، لكي لا تضيع الثوابت التي يلتقي عليها المسلمون، فلو أن الله ترك المهمة هذه للسنة فإن الجدل سيطول حول صحة بعض الأحاديث وضعفها، وشروط الأخذ بها، ونحو هذا، ولهذا فيصح أن نجزم بأن القرآن ما ترك أصلاً من أصول العقيدة ومسائلها المهمة إلا وبيّنه، والبحوث القادمة ستبين هذا بالإحصاء والأرقام إن شاء الله.

نعم جاءت مسائل كثيرة من العقيدة في السنة المطهرة، ولكن غالباً لا يعدو أن يكون تأكيداً لما جاء في القرآن، أو توسيعاً لبعض المعاني التي جاءت فيه، وربما يكون هناك ذكر لقضايا متعلقة بالعقيدة لكنها ليست من أصولها أو من مسائلها المهمة، بحيث إن المسلم لو جهلها أصلاً لما خدشت عقيدته .

**الشبهة الثانية:** قد يقول آخر: فما تقولون في كتب العقيدة التي تبلغ بحجمها أضعاف حجم القرآن الكريم، فهل هذه الزيادات لا صحة لها؟ أو على الأقل لا حاجة لنا بها؟.. والصحيح أننا نقصد بالعقيدة ما يحتاجه المسلم من أصول دينه، ويقيناً أن القرآن لم يدع المسلم يحتاج إلى غيره في تأصيل أصول الدين، أما ما جاء في كتب العقيدة فمن الممكن تصنيفه إلى الآتي:

١ – صنف اهتم بالترتيب والتبويب، فجعل مثلاً مبحث الأسماء والصفات على حدة، وكذلك مبحث النبوات والسمعيات .. الخ، وربما يشرع بالتقسيم فيقول مثلاً: التوحيد ضربان: ربوبية وألوهية، أو ثلاثة أو خمسة، وهي كلها في الغالب إحصاء لما هو موجود في القرآن وصياغة جديدة، وهذا – لا شك – نافع ومفيد من حيث الهدف الذي وضع له، وهو حصر مسائل العقيدة وتسهيل النظر فيها بعيداً عن المسائل الأخرى، فإذا كان الهدف هذا فلا ضير، أما إذا فهم أن الهدف إرساء أصول جديدة في العقيدة أو مفاهيم جديدة فلا، ولذا يصح أن نقطع بأنه لو مات إنسان وهو لم يقرأ هذه الكتب جملة وتفصيلاً، ولم يعرف أقسام التوحيد ولا أنواع الصفات فإنه لا يضره، ولن يحاسبه الله على ذلك، بل لقد مازحت أحد أصدقائي حين قال: إن الأستاذ فلان لا يفهم في العقيدة لأني سألته عن أقسام التوحيد فلم يجب، فقلت: صدّقني يا أخي لو أن الله بعث لنا أحد الصحابة رضي الله عنهم وسألناه هذا السؤال، لما أجاب، بل ربما استغرب واستنكر!!.

٢ – صنف جاء لإثبات العقائد القرآنية بأدلة تستطيع ان تقنع بعض الطوائف والمذاهب، كالفلاسفة والمدارس العقلية الكلامية، وهذا هو غاية علم الكلام الإسلامي كما يصوره غير واحد من رجالاته، يقول مثلاً عضد الدين الإيجي –رحمه الله–: «الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[1]، فإيراد الحجج ودفع الشبه غير

(١) «المواقف» للإيجي: ص٧ .

العقيدة، والعقيدة دينية، ومعنى هذا أن مهمة علم الكلام: إثبات عقيدة القرآن بالأدلة التي تقنع فئات معينة من الناس، وهذا معناه: أن علم الكلام ليس هو العقيدة، وإنما هو خادم لها، وهو إنتاج بشري مرحلي، خاضع للنقد والتعديل والتصويب، فليس هو العقيدة التي يحتاجها الناس وسيحاسبهم الله عليها.

٣- صنف حشر في مسائل العقيدة وهو ليس منها أصلاً، وخذ مثلاً كيف تبحث في كتب العقيدة مسائل: الإمامة والموقف من حروب الصحابة[١] بل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢]، وأخرى عن بر الوالدين وصلة الأرحام[٣]، فهذه كلها ما جاءت لإثبات عقيدة جديدة، ولا يقول مؤلفوها بهذا أبداً، كيف والقرآن يقول: ﴿ ...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وقبل أن ننتقل إلى السمة الأخرى، نتساءل ما الذي يحتاجه الإنسان من العقيدة، ولم يأت له ذكر في القرآن الكريم؟ إن الإنسان يحتاج أولاً إلى أن يعرف خالقه وخالق هذا الكون الكبير معرفة تميز الخالق عن المخلوق، ثم بعد هذا يحتاج أن يعرف ماذا يريد الخالق منه، لماذا خلقه؟ فإذا استطاع أن يعرف هذا، فإنه يحتاج أن يعرف ما ينبني على التزامه بما يريده ربه منه، ماذا لو أطاع، وماذا لو عصى؟ هل يحتاج الإنسان غير هذا؟ فأي واحدة من هذه لم يفصلها القرآن؟ لقد وسع القرآن الإجابة عن هذه الأسئلة توسعة خاطبت العقل والوجدان، وحركت الإنسان من داخله، لتحقيق الغاية، ولنجاته من الخسران والهلاك، بحيث لو صدق الإنسان مع نفسه فإن القرآن كافيه.

### السمة الرابعة:

ارتباط عقيدة القرآن بغيرها من تفاصيل هذا الدين الحنيف، لقد تبين لنا قبلُ أن عقيدة القرآن عقيدة هادفة، بمعنى أن لها غاية، وغايتها سعادة الإنسان في الدارين بالتزام أمر الله، وإعلان خلافته في أرضه، وكل هذا لا يحصل بمجرد الاعتقاد، وإنما لابد من التطبيق والعمل الميداني، وإذا كانت العقيدة غايتها هذا العمل الميداني فلا يمكن أن تنفصل عنه،

(١) كتب الكلام بصورة عامة، كالاعتقاد للبيهقي، والإرشاد للجويني.
(٢) المعتزلة عدوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول الخمسة، نظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار.
(٣) «العقيدة الواسطية» لابن تيمية مع الشرح: ص١٨٢.

ولـذا لم يخل جانب مـن جوانب التكليف العمـلي من الاقتران والارتباط بمسـائل العقيدة الدافعـة إلى الامتثـال الكامـل والأداء الأفضـل، ولنأخـذ الآن بعـض الجوانـب التشريعية التكليفية وارتباطها بالعقيدة:

## الجانب الأول: العبادة:

والمقصـود بهـا الأمـور التعبدية البحتـة كالصلاة ونحوهـا، وإلا فكل الإسـلام عبادة: جهاده وسياسـيته واقتصاده .. الخ، والأمور التعبدية جاءت مقترنة بكل جوانب العقيدة، ولنقرأ هذه الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ آل عمران.

﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور.

## الجانب الثاني: الجهاد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ الصف.

و﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ التوبة: ١١١.

## الجانب الثالث: الولاء والبراء:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ

دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ المائدة.

**الجانب الرابع: الأخلاق**

﴿ ...وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ الحجر.

و﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأعراف.

**الجانب الخامس: السياسة والحكم:**

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص، و﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة.

**الجانب السادس: الاقتصاد:**

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ المطففين. و﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ البقرة.

### الجانب السابع: الأحوال الشخصية:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة.

و﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة.

### الجانب الثامن: العقوبات والحدود:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴿٢﴾ ﴾ النور.

و﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ المائدة.

ألم تـر إلى كل هـذه الجوانب كيف ربطت بالعقيدة ربطاً وثيقاً، بل كثير من هذه الجوانب اقـترن بأصـول الدين كلها: الإلهيّات والنبوات واليوم الآخـر كما في الجانب الأول والثاني، وهذا ما يؤكد أن العقيدة القرآنية ليست عقيدة نظرية مجردة، وإنما هي ميدانية عملية.

### السمة الخامسة:

الأسلوب المقنع الأخّاذ الذي لا يملك الواقف عليه إلا أن يعلن استسلامه وعجزه عن مضاهـاة هـذا القول أو مباراته، وهـذه هي معجزة القرآن بصورة عامـة، ومباحث العقيدة هي المقصودة أولاً فلا غرو أن تأتي متفردة في هذا المضمار، لأن الذي يقتنع بها فإن ما بعدها

تابع لها، ولأنها تحتاج إلى تنوع في الأساليب لتنوع الناس الذين يراد منهم الدخول في هذا الدين ومن بوابته الوحيدة «العقيدة»، وقد نستطيع هنا أن نشير بإصبعنا من بعيد إلى أهم معالم هذه السمة:

المَعْلم الأول: الجمع بين منطق العقل ومنطق العاطفة، فحيث أن الإنسان ليس عقلاً محضاً، وإنما يشترك فيه لصنع القرار إلى جانب العقل قوة أخرى وهي العاطفة، بل إن أكثر الناس يتأثرون عاطفيّاً أكثر من تأثرهم العقلي، مع أن قلة منهم قد يترجح عندها منطق العقل على منطق العاطفة، ولكن لما كانت عقيدة القرآن عقيدة عامة لجميع الناس فلا يمكن إلا أن تدخل إلى هؤلاء الناس من كلا المدخلين: العقل والعاطفة، ولنأخذ مثلاً قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور، إنها محاجّة عقلية مع أسلوبها الأخّاذ، لكن جانب العقل فيها غالب، ولا يملك أهل العقل أمام هذا المنطق إلا التسليم أو البهت، كما بهت ذاك الطاغية بمحاجة إبراهيم- عليه السلام-: ﴿ ...فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ البقرة، وانظر أيضا إلى المحاجة العقلية لإثبات المعاد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس.

ثم بعد هذا ضع يدك على قلبك واقرأ: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ الواقعة.

سبحان ربي العظيم، واقرأ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المطففين.

إن الإنسـان بحاجـة إلى من يحرك وجدانه من داخله بعيـداً عن الصخب والضجيج، إذ الإنسـان ربما يقدر على المكابرة والمخادعة، لكنه هل يقدر أن يخدع نفسه؟ فلماذا لا نتحدث معه من داخل نفسه؟... أذكر هنا للطرفة موقفاً حكاه لي الشيخ محمود غريب إمام وخطيب جامـع البنيـة ببغداد سـابقاً، قـال: جاءني رجل فقال يا شـيخ: فرعون في الجنـة أم في النار؟ فقلت له: في النار طبعاً، فقال: ما دليلك؟ قلت له: قول الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ هـود، قـال: هذا ليـس دليلاً، لأنه يمكن أن يوصلهـم إلى النـار ثم يرجع هو إلى الجنة، هنا أدرك الشـيخ الخلل، فقال له: هل أنت جازم يـا أخـي بأن فرعون في الجنـة؟ قال: نعم. قال: فارفع يدك يا أخـي وقل: اللهم احشرني مع فرعون...!! فبهت الرجل.

المَعْلم الثاني: الجمع بين الجزالة والبساطة، فنصوص القرآن وبالأخص نصوص العقيدة مع كونها على أتم وجوه البلاغة وأرقى أسـاليبها وأجزلها إلا أنها جاءت مفهومة للخواص والعوام، سـهلة المأخذ، قريبة المعنى، حتى إنك في جميع نصوص العقيدة- إلا ما شـاء الله- قـد لا تحتاج إلى كتب التفسـير، وقـد جربت نفسي فكل ما أتيت بـه في الفصول القادمة من حشد هائل للآيات الكريمة لم أحتج فيه إلى تفسير المفسرين- إلا ما شاء الله-؛ لأني وجدتها مفسرة أكثر من التفسـير، بل ربما لا يزيدها التفسـير إلا تعقيداً وهذا طبعاً بخلاف المسـائل الأخـرى التـي ربما تحتاج إلى الراسـخين في العلم، سـيما تلك التي يخاطب بهـا القرآن نمطاً خاصّاً من الناس كآيات الحكم، والقانون، أو الجهاد، والمعاهدات الدولية، ونحو هذا، أما العقيدة؛ فالعقيدة لكل الناس ولذا جاءت واضحة لكل الناس.

وقد تسـأل هنا: إذا كان الأمر كذلك فـما سر اختلاف المتكلمين في آيات العقيدة؟ أقول لك: والله لم يأت الإشـكال من الآيات نفسـها، وإنما لأسـباب أخرى لا علاقة لها بمقصود النص أبداً، ولنشر إلى بعض هذه الأسباب:

السـبب الأول: قد يأتي النص القرآني واضح المعنى، لكن العقل البشري يريد أن يصل مـن خلال النص إلى الغيب الذي لا يعلمـه إلا الله، فيحدث الارتباك والخلاف، فمثلاً: لو قرأ إنسان هذا النص: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة : ٢٩].

فهل في هذا النص من إشـكال؟ لا، إنه واضح كالشـمس، لكن الفلاسـفة قالوا: إن الله لا علـم لـه بالجزئيات لأن تعدد المعلومات وتجددها يؤدي إلى قيام الحوادث بالله تعالى وهو

محـال[١]، وقـال المعتزلة: هـذا العلم ليس صفة زائـدة على الذات وإنـما الله يعلم بذاته، لأن زيـادة الصفـة على الذات قول بتعدد القدماء، وقال الأشـاعرة: صفة العلم ليسـت هي الله وليست غيره، بل هي معنى قائم به، فبالله من أين جاء الغموض والإشكال؟

السبب الثاني: قد يأتي النص القرآني واضح المقصود لا يختلف عليه اثنان، ولكن النص فيه كلمة تسـتخدم في اللغة أكثر من اسـتخدام، وقد يكون واحد من استخداماتها له علاقة بالغيـب الـذي لا يعلمـه إلا الله[٢]، فترى البعض يـترك المعنى الظاهر المقصـود من النص، ويتجـه إلى هـذه الكلمة بالذات، ويحاول أن يصوغ منها فلسـفة خاصـة، وخذ مثلاً في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ طه، إنها آيات واضحات، والمقصود منها واضح، ولكن وردت كلمـة «عـين» مضافة إلى الله، والعين هنا تحتمل وجوهاً عدة؛ فهي في المعجم: الباصرة، وفي السياق هنا هي كناية عن العناية والرعاية، كما سبق في كلام ابن باز- رحمه الله- فأي العينين هـو المقصـود؟ ثم إن العـين جاءت مفردة، أهي مفـردة على ظاهرها؟ أم هـو إفراد قصد به المثنـى؟ أم إفـراد قصـد بـه الجمع؟ وكل هـذا محتمل في أصـل اللغة، ثم الذي يـؤول العين بالعناية والرعاية أهو كافر أم مؤمن...الخ.

انظـر... إن الـذي يريـد أن يسترسـل هكذا فإنه لـن يعدم نقطـة البداية في كل نص، فإن المتكلف يسـتطيع أن يثير أكثر من مشـكلة في أي نص مهما كان وضوحه، ففي قوله

---

(١) مسـألة علم الله بالجزئيات من مسـائل الفلسفة المعقدة، وقد ناقشها الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » وعقد لها مبحثاً مستقلاً ورد ادعاءات الفلاسفة.

(٢) والغمـوض بسـبب ارتبـاط النـص بعالم الغيب لا مناص منه، لأن الإنسـان لا يـدرك إلا ما يقع تحت حواسـه، ولكن أي ضير إذا فهم الإنسـان المقصود من النص، خذ هذا المثل، قول الله تعالى:﴿ طلعها كأنه رؤوس الشـياطين ﴾ فإدراك ذلك الطلـع على حقيقته متعذر، لأنه مجهول، وشـبهه القرآن بمجهول آخر، فنحن لا نعرف الطلع ولا رؤوس الشـياطين، لكن هذا لا يضر، فإن القرآن لا يهدف إلى أن يعلمنا حقيقة نباتات النار لنجري عليها دراسة في كليات الزراعة، ولا تحدث عن رؤوس الشياطين لكي نميز بينها وبين رؤوس البقر كي لا تشـتبه علينا!! إن هدف القرآن ومقصوده واضح، أنه يريد أن يلقي في نفس الإنسـان حالة من الاشـمئزاز والخوف من دخول النار، وكل هذا ليدفع الإنسـان بعيداً عن مسـببات دخول النار، فهل هذا ليس واضحاً؟ إنه واضح بمقصوده وهذا يكفي، وإن كان غامضاً بجانبه الغيبي.

تعـالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ محمـد؛ هـذه الآيـة واضحـة أم لا ؟ اقرأ هذه الأسـئلة:

١) اللبـن هنـا حقيقـي أم مجازي؟ بمعنى: أخـارج من ضرع الحيـوان أم لا ؟ وإذا كان خارجاً من ضرع الحيوان فما هو؟ وإن كان لا، فهل يصح أن نسميه لبناً ؟.

٢) الخمـر هنـا حقيقة أم مجاز؟ إذا كان حقيقة فلا بد أن يكون مسـكراً فهل أهل الجنة يسـكرون؟ وإذا كان ليس بمسـكر فهل يجوز أن نسـمي غير المسـكر خمراً؟ كيف؟ وهل سميت الخمرة إلا لأنها تخامر العقول وتحجبها؟.

٣) عسـل مصفـى، مصفى من أي شيء؟ ما هي الشـوائب التي كانـت معه فصفاه الله منهـا؟ أهي شـمع النحل؟ وهـل في الجنة نحل؟ طيب، لماذا لم يذكـره القرآن؟ وإذا كان ليس فيه شوائب فكيف يصفه الله بأنه ﴿ مُّصَفًّى ﴾؟.

وأخـيراً فهـل خلافنا في الإجابة عن هذه الأسـئلة سـهل وهيّن؟ كيـف وهو خلاف في العقيدة ؟!! أليست مسائل اليوم الآخر من مسائل العقيدة؟.

ما الفرق بين هذا النمط من التفكير والنمط الأول؟ لا فرق في الحقيقة. لكن ذلك ألفناه لكثرتـه، وهذا اسـتغربناه لندرتـه، لكن ألا يمكن أن تفرغ علينا الأيـام من جعبتها أكثر من هذا، الأيام حبالى وما يعلم بأجنتها إلا الله!!!.

السـبب الثالث: قد يأتي الإشـكال بسـبب سـوء التـصرف في النصـوص، وهذه بعض الأمثلة:

١) قـد تـأتي كلمـة في القرآن تحتمل أكثـر من معنى فتحدث إشـكالاً بنفسـها، ولكن القـرآن يفسر بعضـه بعضاً، فينبغي والحالـة هذه أن نختار من المعـاني المحتملة ما يتناسـب مع بقيـة النصوص، فمثلاً قوله تعالى لرسـوله محمدﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ الشـورى، فهل الرسـول صلى الله عليه وسـلم يهدي؟ ومـا معنى الهدايـة هنا؟ قد نختلف، لكن حينـما نقرأ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾ [القصـص: ٥٦]، نعلـم عندهـا أن هنـاك هدايـة ثابتة لرسـول الله ﷺ، وهداية منفية عنـه، والهداية المنفية عنـه ثابتة لله وحـده، فأي الهدايتين أليَق بالله، وأيها أليق برسـوله؟ ليس صعباً أن نفهم الجواب، فالله هو الهادي بمعنى أنه مقلب القلوب- سـبحانه وتعالى- وهذا

لا يملكـه إلا الله، ومحمد ﷺ الهادي بمعنى أنه الدليل المبلّغ البشـير النذير، وهذا هو ما يتناسـب معه عليه الصلاة والسـلام.

٢) قد تكون المسـألة معكوسـة، فهناك جمعنا بين النصوص ففهمنا الجواب، ولكن قد يكـون الإشـكال بسـبب الجمع بين نصوص ينبغـي أن تفـرق!! ورجائي أن تصبر علـيّ قليـلاً لأفصح عما أريد، قد يـأتي نص تشريعي وآخر خـبري أو قدري، فحين نجمـع بين النصين يحدث الإشـكال، فالنص التشريعي مثلاً: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ... ﴾ [البقرة : ١٧٩]، نقتص من القاتل، فالإنسـان قد يقتل الإنسـان بمعنى أنـه يعدمه حياتـه، أو يميتـه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣]، والنص الخبري القدري: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ... ﴾[آل عمـران:١٤٥]، بـل إن القـرآن يقـول: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ... ﴾[الأنفـال:١٧]. من يريد أن يثير هنا مشـكلة بجمع هذه النصوص يسـتطيع، ولكن المسـلم يعلم أنه مطالب مـع القـدر بالتصديق، ومـع الشرع بالتنفيـذ، فهناك قدر، وهنـاك شرع، والقدر لا يبطل الشرع، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، والخلط بين ميدان القدر وميدان التكليف خطأ وخطر.

مـا زلت أذكـر يوم أن جاءني أحدهم بكتيب يقول فيه مؤلفـه: إن الذين يدعون إلى جمع المسـلمين ووحدتهم هـؤلاء مخطئون وربـما مبتدعون وضالـون- لا أذكـر بالضبط- لماذا؟ لأنهـم يريدون أن يكذب رسـول الله ﷺ الذي صح عنه قوله: (( وَتَفْـتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ))[1] لقد استغربت كثيراً من هذا النمط من التفكير، وقلت لصاحبي: لا أريد أن أناقشـك في الحديث ومعناه، لنسلم أنه على المعنى الذي أراده المؤلف، فهل هذا الحديث من نصوص التشريع والتكليف أم هو نص من نصوص الخبر والقدر؟ لم يحر جواباً، قلت: أيحاسـبنا الله يوم القيامة ويقول: لماذا لم تتفرقوا؟!! أم يقول لنا: لماذا تفرقتم وقد نهيتكم عن التفرق بقولي الواضح المبين: ﴿ ...وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ... ﴾[آل عمران١٠٣].

ولنأخذ مثالاً آخر مما ينبغي التفريق فيه من النصوص بصورة عامة، هذا نص يقول لك: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [العنكبـوت:٤٦]، وهـذا نص

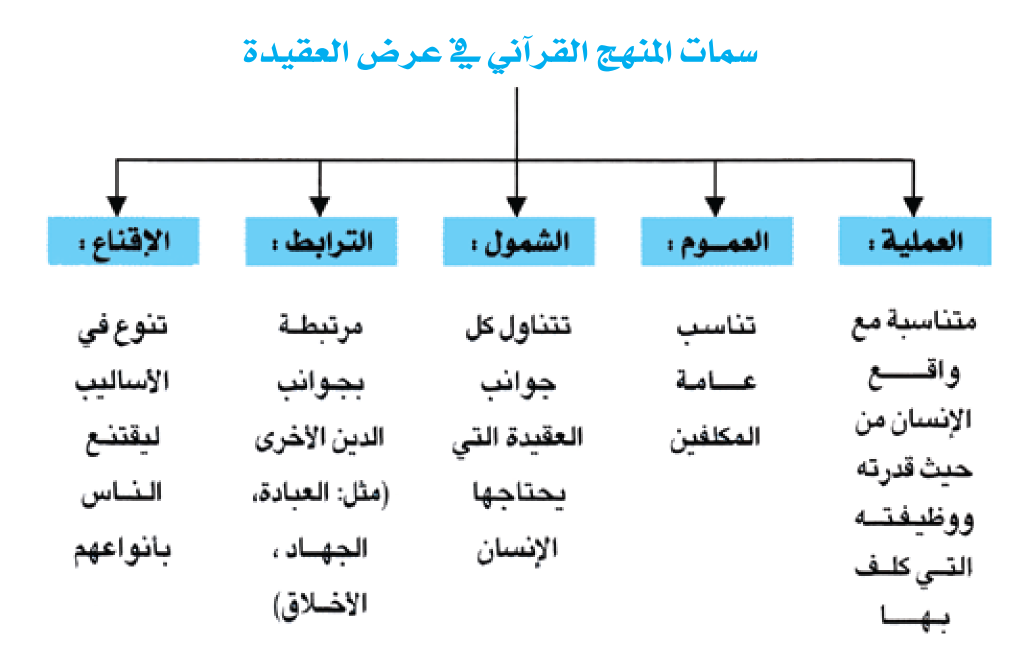
(١) سنن أبي داود: ٤/ ١٩٧- ١٩٨.

آخـر: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة.

إن هذيـن النصـين لا يمكن فهم المراد منهما إلا بعد أن نفهم اختلاف كل دائرة نزل فيها النـص عن الدائرة الأخـرى، فالدعوة إلى الله دائرة كبيرة لها ما يناسـبها من الأحكام، حتى قال الله عن فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ طه ، فاللين والمجادلة بالتي هي أحسـن سـلاح الدعـوة، بينما القوة والغلظة سـلاح الجهاد، فدائرة الدعـوة شيء، ودائرة الجهاد شيء آخر، والخلط بينهما خطأ أيضاً.

لقد توسـعت في هذه الأمثلة لأني أرى أن الكثير من أسـباب النزاع، لاسيما ذلك المستند إلى النصوص سببه الجمع فيما ينبغي تفريقه، أو التفريق فيما ينبغي جمعه.

وبعد كل هذا فربما اسـتطعنا أن نضع أصابعنا على أبرز السـمات في المنهج القرآني، بقي علينا أن نشير إلى آثار المنهج القرآني على أرض الواقع.



## المبحث الخامس
## آثار المنهج القرآني

إن مقدار النجاح أو الفشل لا يقاس إلا بمقدار ما حققه الإنسان من أهداف مرسومة له مسبقاً، والمنهج القرآني جاء لغاية واضحة مكشوفة، إنها أن يكون الدين كله لله، وأن تعلن خلافة الله في الأرض، وأن تكون الرحمة للعالمين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء، وقد وضع القرآن منهجه الشامل لتحقيق هذه الغاية، وكان هذا المنهج يبتدئ بجانب العقيدة، والعقيدة أوكل إليها مهمة بناء التصورات الأولى التي يحتاجها المسلم لأداء وظيفته، وأوكل إليها أيضاً مهمة الدفع باتجاه التطبيق، والصبر على لأواء الطريق، وقد حققت العقيدة القرآنية ما هدفت إليه.

فإجمالاً: قامت أمة من الصفر تحمل الرحمة والعدل والعلم للعالمين، وانطلقت راياتها الفاتحة في غضون سنوات لتخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وبنت المجتمع الذي كان خيالاً يراود مخيلات الفلاسفة والمصلحين، **وتفصيلاً**: لنضع أيدينا على النقاط الآتية:

١- في مجال السلوك الفردي: وجدنا هذا الإنسان المطبوع على الأنانية والطمع وحب السلامة والخلود، رأيناه إنساناً يبذل ما عنده لأخيه، ويبذل روحه لدينه، حتى قال القرآن: ﴿ ...وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾[الحشر:٩]، وحتى أصبح بذل النفس لا يحمل طابع الواجب التكليفي المجرد، وإنما ارتقت به لغة القرآن إلى الحب، فالمسلم يحب أن يبذل روحه، وهكذا ينبغي أن يكون: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾ التوبة، ولذا انقلب هذا الإنسان من إنسان يقاتل من أجل ناقة أو جمل، إلى إنسان يقدم كل شيء وينتظر الشهادة بشوق كبير، فإذا سال دمه استبشر ونادى: فزت ورب الكعبة.

إننا نعزو هذا الانقلاب الهائل في النفس البشرية إلى العقيدة التي جاء بها القرآن والتي غيّر فيها التصورات والمفاهيم، إن القرآن لم يلغ الغريزة وإنما دفعها باتجاه البناء، ماذا نتصور

الإنسان الذي يحب ذاته؟ هل جاءته العقيدة القرآنية لتقول لـه ألغ هذه الطبيعة؟ لا، وإنما قالت له: إن كنت تحب ذاتك فقدمها، لتضمن ذاتك السعيدة السعادة الأبدية، وإن كنت تحب مالك، فقدمه ليكون لك أضعافاً مضاعفة، وكلما كنت أنانياً أكثر كلما ينبغي عليك أن تبذل وتضحي أكثر!! نعم فالتاجر الذي يحب الربح أكثر من غيره يتعب أكثر ويبذل أكثر ولكن ليربح أكثر، هذا التصور الجديد الذي بنته العقيدة هو الذي فعل الأفاعيل، استمع إلى عقيدة القرآن كيف تصوغ هذه الحقيقة: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ [التوبة:١١١]، إذاً هي عملية بيع وشراء وربح، وإذا كنت متردداً في الإقدام على هذه الصفقة، فإن عقيدتك لن تترك لك مجالاً للتردد، إنها تقول لك: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ... ﴾ [آل عمران:١٨٥]، بمعنى أنك تقدم الثمن طائعاً أو مكرهاً، أنت تموت حتماً وستخسر مالك بموتك، فماذا تريد؟ أتريد أن تخسر نفسك ومالك مجاناً دون عوض؟ أم تريد أن تشتري بهما الجنة والسعادة الأبدية؟ أنت بين هذين الخيارين، فماذا أنت فاعل؟!. وإذا كان الأمر كذلك فهل من حاجة إلى أن نفصل القول في تأثير العقيدة على السلوك اليومي للإنسان، في أكله وشربه، وسوقه ومزرعته، بين أهل بيته والآخرين، لقد بنت العقيدة القرآنية إنساناً جديداً لا يحتاج إلى رقابة؛ فرقيبه من داخله، ولا يحتاج إلى القضاة فدستوره بين جوانحه، وهذا يكفي.

٢- في مجال البناء الجماعي وتكوين الحضارة المثالية: لا داعي أن نقدم بين يدي هذه النقطة فهي لا تحتاج إلى مقدمات، فقط أن نعلم أن رجلاً بلغ عمره الأربعين سنة، ولم يعمل أي شيء، ثم بدأ يدعو إلى عقيدة جديدة بعد الأربعين، لكن الناس رفضوا هذه العقيدة وآذوا هذا الرجل كثيراً هو والقلة الذين آمنوا معه، حتى لما جاوز عمره الخمسين خرج مهاجراً بدينه وطارده الناس لكنه استطاع أن ينجو، ثم لما بلغ الستين أو يزيد قليلاً حسم المعركة مع جميع أعدائه لصالحه، فأسلم العرب وانهزم اليهود، وبسط نفوذه على الجزيرة العربية ولم يكتف بهذا أخذ يهدد استقرار الروم في شمال جزيرته، ثم واصل المسيرة خلفاؤه من بعده فحطموا طواغيت الأرض، فهدموا عرش كسرى، وكسروا شوكة قيصر!!! فقط أن نعلم هذه الحقيقة فهذا يكفي.

فإذا علمت أن هذه السرعة في الإنجاز لم تكن محصورة في الجانب العسكري وإنما هو انقلاب سريع في السياسة والقانون والاقتصاد والأخلاق..الخ، وكل هذا سار بموازنة فريدة عجيبة، فماذا تقول؟ لو لا أنه خبر مسلّم بصحته عند خلق الله كافة، لقلنا: إنه من

قصص الماضين وأساطير الأولين، لكنه الحق الذي بهر العقول وحيّر التاريخ، فكيف استطاع القرآن أن يحقق كل هذا؟! لننظر في النقاط الآتية:

أ- ليس المجتمع إلا مجموع أفراد، فإذا تبين لنا آنفاً كيف استطاعت عقيدة القرآن أن تُحدْث الانقلاب الهائل داخل النفس البشرية؛ فما الذي يعوقها بعدُ أن تحدث هذا الانقلاب في المجتمع كله؟! إن جيشاً مكوناً من أفراد صاغتهم عقيدة القرآن؛ عقيدة البيع والشراء أو صفقة الجنة، لا يمكن أن ينهزم أبداً، أينهزم التاجر من الربح الكبير؟!.. ولذا في كل معارك الإسلام الأولى لم نسمع بأن الدولة الإسلامية احتاجت إلى وضع "التجانيد" لاستدعاء المواليد، ولا إقامة السيطرات لتتبع المتخلفين والهاربين!!! .

ب- لقد جاءت عقيدة القرآن لتقول للإنسان: إن الأرض أرضك والسماء سماؤك وكل ما فيها لك، ليس فيها مجهول يخيفك، ليس فيها ممنوع عليك -إلا ما شاء الله-، واسمع معي إلى هذا البيان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾ [البقرة:٢٩]، و ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ إبراهيم، و ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠].

إن هذه العقيدة التي تبصّر الإنسان بحقيقة هذا الكون، وإنه مخلوق مسخر له فهو سيده، والمتصرف فيه، بإذن خالقه -تبارك وتعالى-(١) لابد أنّ هذه العقيدة ستفجر الطاقات وتفتق المواهب، ثم إن هذا التفجير منضبط بحدود الدستور الإلهي، فالإنسان ليس هو المالك الحقيقي وإنما هو مستخلف فيه مؤتمن عليه، وسيأتي يومٌ يحاسب فيه هذا الإنسان على الصغيرة والكبيرة.

فالحضارة الإسلامية قامت على الاستغلال الأقوى والأمثل للطاقات المخزونة في هذا الكون مع الدستور الذي ينظم هذا الاستغلال ويدفع به نحو الهدف الكبير(٢).

لو أردت أن تجري مقارنة بين هذه العقيدة والعقائد الأخرى في هذه النقطة بالذات

---

(١) انظر: «العقيدة والفطرة» لصابر طعيمة: ص٧٥ .

(٢) «الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الإسلام» ص٣٦ .

لرأيت العجب، تصور أن عقيدة تقول لأصحابها: إن إلهكم بقرة أو نار أو شمس أو قمر أو تمر أو حجر، ما قيمة هذه العقيدة أمام العقيدة التي تقول للإنسان: أنت سيد هذا الكون، وإن هذه الآلهة المزيفة أنت سيدها وهي مسخرة لخدمتك ؟!.

ثم تصور عقيدة على نقيض تلك، عقيدة تقول للإنسان: أنت سيد الكون، أما الإله فهو إمّا وَهْمٌ لا حقيقة له، وهذه فلسفة الشرق الآن، وإمّا أنه موجود ولكن لا دخل له في خلقه، فلا شريعة له ولا دستور، الإنسان هو الذي يستغل الكون وهو الذي يضع لنفسه قانون الاستغلال!! ماذا ينتج عن عقيدة الغرب هذه؟ نعم استغلال كبير لطاقات الكون، لكن مع الظلم والأنانية والطبقية والاستغلال البشع لطاقات الفقراء والطبقات الكادحة، لماذا لم تستطع الحضارة الغربية أن تنتج مجتمعاً يسوده التعاون والإيثار؟ لماذا لم يستطع الساكنون في ناطحات السحاب أن يحققوا قدراً من الرأفة والحب والإيثار كما حققه ساكنو الصحراء أيام المد الإسلامي الأول؟!.

وبين هذه وتلك توجد عقائد كثيرة لكنها عوراء أو عرجاء، فهذا غاية ما عنده أن يحقق حلم شعب الله المختار في استعباد بقية الأجناس البشرية، وذاك غاية ما عنده أن يترَهَّب في صومعة أو دير تاركاً الزواج والحياة!! .

جـ- لقد مر معنا أن من أبرز هذه العقيدة أنها عقيدة عملية، دفعت الإنسان في ميادين العمل، في عالم الشهادة، ولم تمنحه من الغيب إلا بمقدار ما ينتفع به عمليّاً، فليس في كل جوانب العقيدة جانب نظري بحت، وهذا بطبعه أدى إلى التنافس في العمل، والمسارعة فيه، والابتعاد عن الجانب النظري الفلسفي، هذا الابتعاد كان له السبب الأكبر في حفظ الطاقات العقلية ودفعها باتجاه الميدان العملي، ولنقارن الآن بين حالتين:

الحالة الأولى: حالة العقول المنفتحة في الجيل الإسلامي الأول، كيف دفعت بها العقيدة القرآنية إلى دراسة الأرض وموازين القوى، ثم التخطيط لبناء الأمة ورفع راية الحق، وأخيراً النجاح في التنفيذ، فكانت عقول الخلفاء الراشدين، والقادة العسكريين، والتجار، وأصحاب الخبرات، والقدرات، كلها مشغولة بالهدف، مشحونة للتنفيذ.

الحالة الثانية: حالة العقول الكبيرة التي جاءت بعد، لكنها ابتعدت عن الواقع وسبحت في فضاء الغيب، فأنتجت ثروة هائلة في ميادين الكلام والفلسفة، لكن الجياع لا تشبعهم الفلسفة، والظلم لا ترفعه الأقلام، والجيوش الغازية لا يردها جدل المتكلمين، لقد كنت أسأل نفسي كثيراً بحسرة وأسى: ماذا لو أن هؤلاء المعتزلة مثلاً أشغلوا عقولهم في عالم

الشـهادة وميـدان الواقع؟ مـاذا لو أن هـذه الطاقات والأوقـات صرفـت في ميادين العلم العمـلي والإبـداع الصناعي: إن العقول التي صنعت الكهرباء واكتشـفت خصائص النفط وأنتجت البنادق والقنابل ليست أذكى من عقول أئمتنا الكبار، فهل أقول: إنه خطأ المنهج؟ من الممكن، لكن الحقيقة دائماً إن الأمة عندما تتعرض لغزو فكري سينبري بعض المخلصين له، وبقدر ما يحققون من نجاح بقدر ما يصبح هذا الميدان ميدان الشهوة والشهرة، فيتنافس المتنافسـون، ويتدافعون بالأكتاف، لكن قد يكـون ذاك الخطر زال أصلاً، أو إنه من الممكن أن يزول ببعض يسير من هذا الجهد، فما كان ينبغي أن توظف العقول كلها لرد شبهة آثارها فيلسوف أو مكابر!! .

لقد طُرِحَت أمام الجيل الأول شبهات كثيرة، لاسيما من أهلِ الكتاب، وبعض المنافقين، لكـن التربيَـة على أسـس العقيـدة القرآنية مـا كانت تدع مجـالاً للإخـلال بالموازنة لحدوث الارتباك المؤذي للصف الإسلامي.

٣- ولا يفوتنـا أن نذكـر الأثـر الكبير الذي نجم عن توحيد مصـدر التلقي لدى الأمة، لاسـيما في مبادئها الأولى ومنطلقاتها الرئيسـة، فلما كان المسـلمون لا يأخـذون عقيدتهم إلا من مصدر واحد وهو كتاب الله، منحهم هذا وحدة في الجانب الأهم من ميادينهم الفكرية وغيرها، وإن عدم السماح للعقل البشري أن يجتهد ليضع أصول العقيدة بل حتى ولا السنة النبويـة كـما مر، حيث كانت الأصول الاعتقادية واضحة مفصلـة في القرآن، القرآن المعجز الخالـد المحفـوظ، إن هـذا كان له الدور الأكبر في صيانة الجدار الإسـلامي من التشـققات الخطـيرة التـي قد تودي بـه، وإن كل خلاف هين مـا لم يكن خلافـاً في الثوابت والأصول، ولـذا كانت عقيـدة القرآن صمام الأمان لحفظ الأمة المسـلمة، وإن هـذه الأمة ما اضطربت أفكارها وتباينت تصوراتها إلا بعد أن سـمح للعقل أن يجتهد في مسـائل العقيدة، والعقول لا تلتقي إلا على الضروريات، ومسـائل العقيدة ليسـت كلها ضروريات، بل إن منها ما هو متصل بالجانب الغيبي البحت، الذي لا مجال للعقل فيه إلا بدليل من الوحي، فلما اختلفت العقول في نتاجها تعددت مصادر التلقي، فتلقت الأمة عقائد مصبوغة بصبغة العقول التي أنتجتها، فحدث ما حدث، والله المستعان.

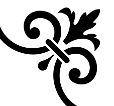
وفي ختـام هذا المبحث نود أن نجيب عن تسـاؤل قد ينقـدح في الذهن، وهو أنه إذا كان مقيـاس النجاح أو الفشـل لأي مشروع إنـما يكون بمقدار ما حققه مـن أهداف مع مراعاة عنـصر الزمـن، فهل العقيدة القرآنيـة قد حققت أهدافها بصورة صحيحـة وكاملة؟ كيف،

والأرض لا زالت تدين بأديان باطلة، ودساتير ومناهج من وضع البشر، ولا زال الظلم يرخي ذيوله على المجتمعات الإنسانية برمتها ؟!.

هذا السؤال في غاية الأهمية، والجواب عنه قد ينفعنا لكشف طبيعة هذا الدين ومنهجه في تحقيق أهدافه على هذه الأرض، وللجواب نقول: إن الإسلام يتحرك على هذه الأرض بجانبين: الأول: وهو المعصوم من الخطأ والمبرأ من الزلل، ونعني به الوحي الإلهي، عقيدة وشريعة، والجانب الثاني: وهو المعرض للخطأ والزلل، ونعني به الجهد البشري الذي كلف بحمل هذه الرسالة والوصول بها إلى غايتها، وهذا الجانب هو أساس الابتلاء، وفي ميدانه يفوز الفائزون، او يسقط الساقطون، فحينما يعي البشر المكلفون بهذا الواجب طبيعة وظيفتهم، ويصدقون معها، ويتحركون بها في المسار الصحيح، فإن الجانب الأول مؤمن الثغرات، فلن تنتكس المسيرة بسبب نقص أو خلل في الجانب الأول أبداً، وهذا ما حدث في الجيل الأول، فكلما تحرك الصف إلى الأمام وجد عقيدته معه لا تضيق ذرعاً بتقدمه وتوسعه، فتحقق ما تحقق، وحينما يتسرب الخلل إلى الجند المكلفين بحمل الرسالة تتعوّق المسيرة، ويحدث الإخفاق.

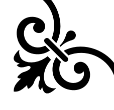
والخلاصة: إننا نقر بوجود إخفاق عريض في مجال تحقيق الأهداف، إلا أن هذا الإخفاق ما كان سببه الجانب الاعتقادي، وإنما سببه الجهد البشري المناط به حمل هذه الأمانة .

| غاية المنهج القرآني | مهمة العقيدة في المنهج | آثار المنهج |
|---|---|---|
| (١) الدين كله لله<br>(٢) خلافة الله في الأرض<br>(٣) الرحمة للعالمين | (١) بناء التصورات الأولى<br>(٢) الدفع باتجاه التطبيق<br>(٣) الصبر على لأواء الطريق | (١) انقلاب هائل في النفس البشرية<br>(٢) تفجير الطاقات البشرية في البناء الحضاري<br>(٣) حفظ وحدة الأمة المسلمة |



# الفصل الثاني
# الإلهيات

- المبحث الأول: إثبات وجود الله
- المبحث الثاني: التوحيد
- المبحث الثالث: الأسماء والصفات
- المبحث الرابع: القدر



## المبحث الأول
## إثبات وجود الله

**إن قارئ القرآن لا يجد فيه مناقشة صريحة لمنكري الخالق، ويمكن تعليل هذا بأمور، أهمها:**

١- إن الإيمان بوجود خالق هذا الكون قضية ضرورية، لا مساغ للعقل في إنكارها، فهي ليست قضية نظرية تحتاج إلى دليل وبرهان، ذلك لأن دلالة الأثر على المؤثر يدركها العقل بداهة، والعقل لا يمكن له أن يتصور أثراً من غير مؤثر، أيّ أثر ولو كان أثراً تافهاً؛ فكيف بهذا الكون العظيم؟! ولذلك لم يناقش القرآن هذه القضية، حتى حينما أورد إنكار فرعون لرب العالمين يوم أن قال: ﴿...وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، و﴿...مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى...﴾ [القصص: ٣٨]، و﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ غافر، فكان موسى -عليه السلام- لا يعير اهتماماً لهذه الإنكارات، وتعامل مع فرعون على أساس أنه مؤمن بوجود الخالق، فتراه يقول له مثلاً: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ الإسراء، وقد عزا القرآن هذا الإنكار إلى التكبر والعناد فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ المؤمنون، وأوضح أكثر فقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ [النمل: ١٤].

٢- إن البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم لم تكن بيئة فلسفية، وإنما كانت وثنية في الغالب، كتابية في بعض القرى أو بعض الأشخاص، والكتابيون لا ينكرون الخالق، وأما الوثنيون فمع عبادتهم للأوثان إلا أنهم كانوا يؤمنون بالخالق- سبحانه-، وَسَجّل القرآن هذا لهم في أكثر من موضع، فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾ [لقمان: ٢٥]، و﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾ [لقمان: ٣٢]، ولهذا لم يحتج القرآن أن يفتح الموضوع مع هؤلاء الناس، بل حتى خارج هذا البيئة لم يُعرف هنالك منكر للخالق، يقول الشهرستاني- رحمه الله-:

«أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليها صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، فما عُدّت هذه المسألة من النظريات التي قام عليها برهان»[1].

ومع خلو القرآن من مناقشة صريحة لمنكري الخالق إلا أنه تضمن أدلة كثيرة لإثبات الخالق، غير أنها في الغالب جاءت لإثبات مسائل أخرى، كالوحدانية والنبوة والبعث، ويمكن استخلاص هذه الأدلة وتصنيفها على النحو التالي:

١ - دليل الخلق: وهو المسمى بدليل الاختراع والعناية[2]، وخلاصة هذا الدليل:

أن هذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود خالقة العلي القدير - سبحانه وتعالى -، وتفصيله أن نقول: الاختراع معناه: تكوين الأشياء وإيجادها بعد العدم، والعناية: هي ما في هذا الكون من تنظيم دقيق، وتناسق عجيب، ومظاهر الرعاية لهذا الإنسان الذي سخر له الله ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ولا نريد أن نطيل في تفصيل هذا الدليل، وإنما نريد أن نتنور بهذه الآيات، فلنتدبر معاً ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾ الطور، ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الروم، ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا

---

(١) نهاية الإقدام للشهرستاني: ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) انظر: أصول الدين الإسلامي د. رشدي عليان، و د. قحطان الدوري ص٨٤، والعقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة ص١٤٩، وقصة الإيمان لنديم الجسر ص ٢٤٢- ٢٧٦.

﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ النبأ.

٢- دليل الفطرة[١]: والمقصود به التنبيه إلى الدليل الكامن في داخل الإنسان، الذي يصرخ فيه من داخله بالحقيقة الكبيرة التي لا ريب فيها ولا شك .. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الدليل من خلال النقاط التالية:

أ- تبيين معنى الفطرة وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ... ﴾ [الروم : ٣٠]، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ... ﴾ الأعراف، فالاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة، وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة، أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون في فطرتهم الأولى فيحتاجون إلى التذكير والتحذير، إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى[٢].

ب- تحريك هذه الحقيقة الكامنة في داخل الإنسان من خلال دعوة الإنسان للنظر في نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات، ثم بسؤاله سؤالاً إنكارياً يدفعه إلى كشف هذه الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ [إبراهيم : ١٠]، ثم الإنذار الشديد، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلت: ١٣[٣].

جـ- فإذا أصرّ الإنسان على عناده فلابد من تعقب خطواته على هذه الأرض، ففي

---

(١) انظر «دلائل التوحيد» للقاسمي: ص٢٣ . و «العقيدة والفطرة في الإسلام» لصابر طعيمة .

(٢) «في ظلال القرآن» لسيد قطب ٣/ ١٣٩ .

(٣) وقد روى أهل السير: أن عتبة بن ربيعة كلم النبي ﷺ فيما جاء من خلاف قومه، فتلا عليه (حم .. فصلت ) إلى هذه الآية، فأمسك عتبة على فم النبي ﷺ وناشده الرحم أن يكف، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم . ( السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٤٧) .

لحظة ضعف بشري ينسى الإنسان عناده لينكشف الحق الأبلج في داخل نفسه، ومن ثم الاحتجاج عليه به .. وانظر هذا الذي قال: ﴿ ...وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣ ]، وقال: ﴿ ...مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص : ٣٨]، هو نفسه الذي قال لحظة الغرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس، بل لقد اعترف في لحظة ضعف قبل هذه سجلها عليه القرآن بقوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الأعراف.

وقد سجل القرآن مثل هذا عن المشركين الذين نزل في بيئتهم حيث قال: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لقمان: ٣٢ ، و ﴿ إذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه... ﴾ [الإسراء:٦٧ ].

لقد لخص القرآن هذا الدليل بقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ... ﴾ [النمل: ٦٢].

٣- دليل الإعجاز: الإنسان عاجز – لا ريب- عن أن يخلق كخلق الله، بل كأضعف خلق الله: ﴿ ...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ... ﴾[الحج: ٧٣] ، فالكون كله معجزة شاهدة بوجود الخالق – سبحانه- ولكن الإنسان قد يغفل عن هذه الحقيقة، وقد يتغافل عنها عناداً واستكباراً، فيحتاج إلى مُنبّه جديد لغفلته، وبرهان أكيد لكبح عناده وتكبره، ومن هنا كانت المعجزة الثانية أو الإعجاز الآخر المتمثل في قدرة الله على خرق قانون الكون ونظامه، فيبقى الإنسان مبهوتاً عاجزاً أمام قدرة الله تعالى، وهذا المبحث وإن كنا سنتناوله إن شاء الله في فصل "النبوة" باعتباره جاء لإثبات صدق النبي الرسول ﷺ إلا أننا سنمر هنا عليه سريعاً؛ لأن دليل إثبات الرسول هو دليل إثبات المرسِل من باب أولى، ولنكتفِ بهذين المثالين فقط:

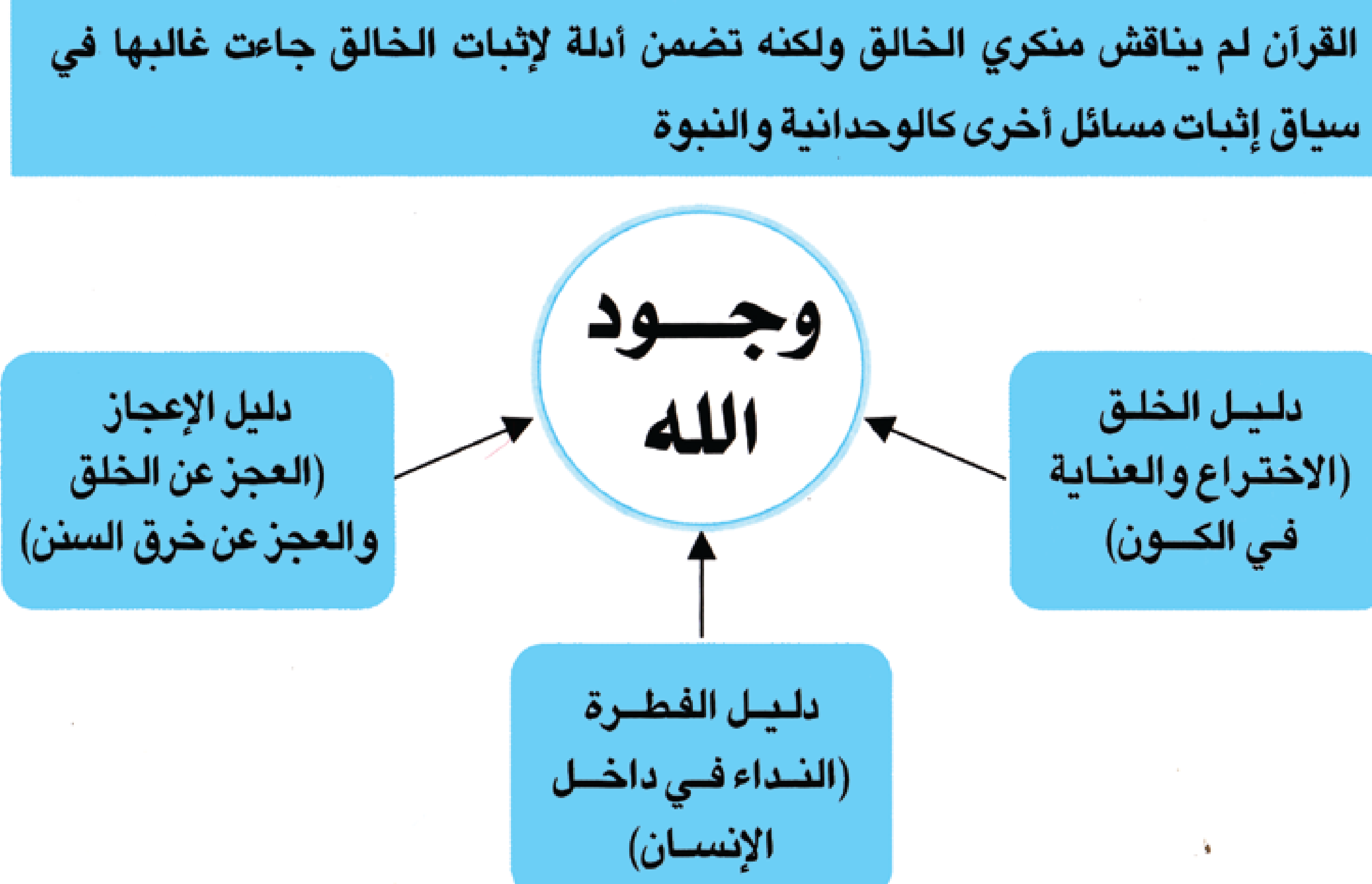
أ- في مناقشة موسى –عليه السلام- لفرعون يجمع القرآن بين الإعجاز من النوع الأول والثاني، فلنقرأ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣]، فالربط هنا قائم بين دليل الإعجاز الأول "الخلق" ودليل الإعجاز الثاني "خرق العادة"، وكذلك الربط قائم في الإعجاز الثاني بين إثبات ربوبية الله وحده وإثبات صدق موسى -عليه السلام- في دعواه أنه رسول من عند الله.

ب- يوم أن تحدى القرآن العرب، وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وسكت العرب وسكت معهم الإنس والجن، حتى قال أحدهم: "أشهد أن هذا لا يقدر عليه بشر"، والذي لا يقدر عليه البشر فمن الذي يقدر عليه؟ صحيح أن هذا التحدي جاء لإثبات صدق الرسول ﷺ إلا أن التصديق بالرسول فرع التصديق بالمرسِل.

هذا وقد قدمنا أن أغلب أدلة القرآن في إثبات وجود الله لم تأت لهذا الغرض، وإنما جاءت لإثبات مسائل أخرى، كالوحدانية والنبوة والبعث، فليتفطن.

❊ ❊ ❊


القرآن لم يناقش منكري الخالق ولكنه تضمن أدلة لإثبات الخالق جاءت غالبها في
سياق إثبات مسائل أخرى كالوحدانية والنبوة
وجود الله
دليل الخلق (الاختراع والعناية في الكون)
دليل الإعجاز (العجز عن الخلق والعجز عن خرق السنن)
دليل الفطرة (النداء في داخل الإنسان)

## المبحث الثاني
## التوحيد

قلنا في المبحث السابق: إن قارئ القرآن لا يجد فيه مناقشة صريحة لمنكري الخالق، وعللنا هذا بكون هذه المسألة لا تحتاج إلى كثير نظر، فدلالة الأثر على المؤثر دلالة عقلية ضرورية، ثم إن البيئة التي نزل فيها القرآن لم تكن تعاني من هذه المشكلة، غير أن المسألة الخطيرة التي عالجها القرآن هي مسألة الشرك.

لقد جاء القرآن والجزيرة العربية تعج بآلهة كثيرة، يصنعها الإنسان بيده من الطين والحجر، يسجد لها، ويحلف بها، ويستنصرها، ولم يكن ما يناطح هذه السفاهات إلا ديانات محرفة في الجزيرة وخارجها، قد يكون فيها من السفاهات ما لا يقل عن عبادة الحجر.

صحيح أن المشركين كانوا يوحّدون الله من حيث أنه هو الخالق الذي لا شريك له في الخلق: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ... ﴾[الزمر: ٣٨]، وصحيح أنهم لا يرون في الأصنام إلا وسائط تقربهم من الخالق العظيم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... ﴾ [الزمر: ٣]، إلا أن الإسلام تعامل مع هذا كله على أنه شرك وظلم عظيم: ﴿ ...إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] وسخّر الإسلام جلّ طاقته للقضاء على هذا الظلم العظيم، وانتشال الناس إلى نقاء التوحيد وصفائه .. فما منهج القرآن في كل هذه المعركة؟ لا ريب أن الذي يتصفح القرآن فإنه يجزم أن أهم مسألة اهتم بها القرآن هي هذه المسألة، غير أننا – في الحقيقة – لا نستطيع أن نجد في القرآن تقسيماً أو تبويباً لتفصيلات هذه المسألة –كما حدث عند المتكلمين[١]– فللقرآن منهجه المتميز والذي لا نستطيع الإحاطة به هنا، غير أننا سنحاول أن نشير إليه من خلال النقاط التالية:

١- الاهتمام الكبير بهذه المسألة: فلا نظير لها أبداً في جميع المسائل التي عالجها القرآن، فقد حشد لها القرآن ما يصعب حصره، حيث أنك لا تكاد تجد سورة منه إلا وفيها تأكيد على وحدانية الله ومحاربة الشرك[٢]، وقد يساعدنا أن نذكر بعض الإحصاءات التقريبية:

---

(١) راجع تقسيمات المتكلمين في كتاب: «الموجز في مناهج المتكلمين» للمؤلف، والذي سيخرج قريبا إن شاء الله .

(٢) انظر: «عقيدة التوحيد في القرآن الكريم» لمحمد ملكاوي، وهي رسالة ماجستير مخصصة لهذه المسألة .

- وصف الله نفسه بالوحدانية وما يقربها اشتقاقاً بنحو (٢٩) آية .
- وصف الله نفسه بأنه لا إله إلا هو وما يقرب من هذا اللفظ بنحو (١٧٦) آية .
- ذكر القرآن الشرك وما يقربه اشتقاقاً بنحو (٦٢) آية .

ولكن الحقيقة الأكبر أن الآيات التي تناولت هذه القضية بالألفاظ المختلفة والصيغ المتنوعة هي أضعاف هذه الأرقام!! فمثلاً مادة "عبد" – والتي سُخِّرَت في الغالب للتنديد بعبادة غير الله، والتأكيد على حق الله وحده في العبادة– قد تكررت في القرآن بنحو (٢٧٢) آية، وهنالك غير هذه الصيغ كثير، وقد يكفي القول بأن القرآن ذكر الرسل – عليهم الصلاة والسلام– وكرر ذكرهم كثيراً، ومع كل مرة لا يسأم القرآن أن يذكر أن وظيفة الرسل الأولى ونقطة البداية في دعوتهم هي هذه المسألة، ولنأخذ هذه الأمثلة:

أ- نوح – عليه الصلاة والسلام– ابتدأ القرآن قصته بقوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩ ، ثم قال عنه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ هود، ويتكرر هذا النداء من نوح –عليه السلام– في سورة المؤمنون (الآية رقم ٢٢)، والشعراء (الآية رقم ١٠٨)، ونوح ( الآية رقم ٣) .

ب- هود –عليه الصلاة والسلام– ابتدأ القرآن قصته بقوله: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... ﴾ [الأعراف: ٦٥ ]، وتكرر النداء نفسه في سورة هود ( الآية رقم ٥٠)، والمؤمنون ( الآية رقم ٣٢)، وقريباً منه في سورة الشعراء (الآية رقم ١٢٦)، والأحقاف ( الآية رقم ٢١) .

حـ- صالح –عليه الصلاة والسلام– ابتدأ القرآن قصته بقوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ... ﴾ [الأعراف : ٧٣]، وكرر هذه البداية نفسه في سورة هود (الآية رقم ٦١) .

د- إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– بدأ مع أبيه بقوله: ﴿ ...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤ ]، ثم كرر الدعوة بأسلوب آخر: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم، ثم يوجه سؤالاً استنكارياً لأبيه وقومه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

ولنقرأ أخيراً عنه هذه اللقطة الرائعة: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟

﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ الشعراء.

هـ- يوسف -عليه الصلاة والسلام- ونختار من قصته تلك الوقفة التي وقفها بين جدران السجن وقضبانه: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾ يوسف.

و- شعيب -عليه الصلاة والسلام- : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ...﴾ [الأعراف : ٨٥]، وتكرر هذا النداء نفسه في سورة هود ( الآية رقم ٨٤) .

إن هذه الأمثلة تؤكد لنا أن القضية الأولى التي اهتم بها رسل الله -عليهم الصلاة والسلام- هي قضية التوحيد، مع اختلافهم زماناً ومكاناً وقوماً وبيئة .

٢- التفصيل الشامل لكل جوانب التوحيد ومسائله:

فلم يترك القرآن أي جانب من جوانب التوحيد إلا وبينه، وأقام الدليل عليه، والعلماء لهم في تفصيل أنواع هذه المسائل مسالك كثيرة، غير أن المتصفح في القرآن يجد أن هنالك خمسة جوانب مهمة ومترابطة يمكن أن تضم جميع مسائل التوحيد(١)، وهي كما يأتي:

الجانب الأول: إفراد الله في الخلق، بمعنى أن الله وحده هو الذي خلق كل هذا العالم، واختصر القرآن هذا الجانب بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ [الزمر : ٦٢]، ثم فصل القول في أنواع الخلق هذه، ونكتفي هنا ببيان بعض الأمثلة:

أ- الله خالق الإنسان: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...﴾[الأعراف : ١٨٩].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الروم.

ب- الله خالق السماوات والأرض: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الجاثية: ٢٢].

---

(١) انظر النموذج في ص ٨٣ الذي يوضح الترابط بين جوانب التوحيد الخمسة .

جـ- الله خالق الأنعام: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزخرف: ١٢]، ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النحل: ٥].

د- الله خالق الغيث والزرع: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النبأ: ١٤ – ١٦]، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٥ – ٣٢].

هـ- الله خالق النعم جميعاً: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [النحل: ٥٣].

و- الله وحده يجيب الدعاء[1]: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

الجانب الثاني: إفراده – تبارك وتعالى – في الملك، بمعنى أن الله هو المالك الحقيقي لخلقه، وهذا الجانب مبني على الجانب الأول، فطالما أن الله هو الخالق إذاً هو المالك، ولا يصح ملك غيره، ولنتدبر هذه الآيات: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ [ص: ١٠]، ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ فاطر: ١٣.

وأما ما يملكه غير الله في الظاهر فهو أولاً لا يخرج عن ملك الله، لأنه ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فالمالك هذا مملوك لله، ثم إن هذا الملك تسخير وتخويل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ... ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ... ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وأما المعاندون فسيعلمون هذه الحقيقة يوم يقول الله: ﴿ ...لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦].

الجانب الثالث: إفراد الله في الحكم والتشريع والأمر والنهي؛ لأنه هو المالك الخالق، فهذا الجانب قائم على الجانبين الأولين، فلا يحق لأحد غير الله أن يحكم خلق الله، ولنتدبر هذه الآيات:

---

(١) لأن إجابة الدعاء أثر من آثار الخلق.

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ... ﴾ [المائدة: ٤٩].
﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].
﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٣].
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥].
﴿ ...إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠].
﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٠] .
﴿ ...وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].
﴿ ...مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف: ٢٦].

وقد يكفي أن نعلم أن كلمة «حكم» وما اشتق منها قد تكررت في القرآن بنحو (٩٠) مرة، وأما ما جاء بالألفاظ الأخرى فكثير جداً، ونكتفي بهذه النماذج:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ... ﴾ الشورى.
﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ التوبة.
﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ... ﴾ [التوبة: ٢٩].

وهكذا يتبين أن الحكم الحق هو حكم الله، وأن القرآن لا يعترف بأي حكم غير حكم الله، وأما ما أسند فيه الحكم إلى غير الله فهو على معنى المنفّذ لحكم الله، كما في قوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾ [المائدة: ٤٩].

الجانب الرابع: إفراد الله -تبارك وتعالى- بالعبادة، والمقصود الامتثال الكامل لحكم الله وأمره، وهذا الجانب هو ثمرة الجانب الذي قبله، فلما كان الله هو الحاكم المشرع المحلل المحرم، وأنه لا يجوز أن يمنح هذا الحق لغير الله، كان من الطبيعي أن تكون الطاعة لله وحده، والحقيقة أن هذا الجانب هو الجانب العملي للتوحيد، ولهذا ركز القرآن عليه أيما تركيز، وقد مرّ معنا أن مادة «عبد» وما اشتق منها - والتي سخّرت في الغالب للتنديد بعبادة غير الله، والتأكيد على حق الله وحده في العبادة- قد تكررت في القرآن الكريم بنحو (٢٧٢) مرة، ولنأخذ منها بعض النماذج:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ... ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ ...وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ... ﴾ [التوبة: ٣١].

ويكفي أن نعلم أن هذا الجانب اعتبره القرآن غاية الخلق وعلته، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذا وقد ورد هذا المعنى بألفاظ أخرى من مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ... ﴾ [النور: ٥١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ ... ﴾ [محمد: ٢٥ - ٢٦].

فطاعة غير الله -ولو في بعض الأمر- طريق الردة، وهذا يؤكد أن لا طاعة لغير الله أما طاعة الرسول ﷺ فلأنه مبلّغ عن الله، ﴿ ...إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ... ﴾[الشورى: ٤٨]، فطاعته طاعة الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ... ﴾ [النساء: ٨٠]، وإذا كان الأمر كذلك -وهو كذلك- فلا بد أن يكون شرع الله شاملاً لكي لا يحوجنا الله لغيره، ولذلك قال الله: ﴿ ...وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ... ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. ﴿ ...مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ... ﴾ [الأنعام: ٣٨ ]، وسيأتي بيان هذا مفصلاً إن شاء الله.

الجانب الخامس: إفراد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وتوحيد الله في أسمائه معناه: أن الله قد سمى نفسه بأسماء، وهذه الأسماء له وحده فلا تصرف لسواه سواء كان الاسم مجرداً من الوصف، مثل "الله" أو مشتقاً منه مثل "الرحمن"، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ... ﴾ [الإسراء: ١١٠ ]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥] ، وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ... ﴾ [الأعراف: ١٨٠ ] ، وتوحيد الله في صفاته معناه أن الله -تعالى- قد وصف نفسه بصفات، وأن هذه الصفات خالصة له وحده، ولا يجوز صرفها لغيره سواء كانت هذه الصفات قائمة بالاسم، كما مرّ في اسمه "الرحمن"، أو مجردة منه، كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ

عِلْمِهِۦٓ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فعلم الله ليس فيه شريك، ولا يماثله علم أحد من خلقه، وكل هذا سنفصله إن شاء الله في مبحث مستقل، وأما توحيده في أفعاله فهذا تابع للجانب الأول، فالله ﴿ ...خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وهذا الخلق يعني أفعالاً كثيرة، كالرزق والإحياء والإماتة ... الخ، وقد تقدم.

جوانب التوحيد الخمسة

(٥) إفراد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله — لأنه هو الخالق المالك

(٤) إفراد الله في العبادة والطاعة — لأنه هو المعبود الحاكم المشرع

(٣) إفراد الله في الحكم والتشريع — لأنه هو الحاكم

(٢) إفراد الله في الملك — لأنه هو المالك

(١) إفراد الله في الخلق — لأنه هو الخالق

لقيام الأدلة على ذلك

٣- الاستدلال القرآني المقنع لإثبات هذا التوحيد وكثرة صيغه وتنوع أساليبه:
ونكتفي هنا أن نذكر بعض الأدلة التي ساقها القرآن الكريم:

## الدليل الأول:

دليل الخلق، وهو الدليل الذي ذكرناه في مسألة "وجوده تعالى" حيث إنا قلنا هناك: إن هذا الدليل وإن دل على وجوده -تعالى- إلا أنه في الغالب مسوق لمسائل أخرى، من أبرزها مسألة التوحيد، والاستدلال بالخلق على توحيد الخالق واضح، فكل ما في الكون يشهد أن خالق هذا الكون واحد، وهذه هي الحلقة الأولى في هذا الدليل، ثم لما ثبت هذا استخدمه القرآن نفسه دليلاً لإثبات حق الله في الحكم، وتنفيذ هذا الحكم ( التشريع والعبادة )، ولننظر الآن في الحلقة الأولى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤].

فهذه الآية فيها دليل واضح لإثبات وجوده -تعالى-، غير أن النص سيق لإثبات التوحيد، كما هو بيّن في مقدمته، ومعنى هذا الاستدلال: أن السموات والأرض ... الخ محسوسات مشاهدات، وأنها لا بد لها من خالق، وإنه لم يدّع الخلق أحد غير الله، فالإنسان ولو كان كافراً فإنه لا يدّعي خلق السموات والأرض: ( أم هم الخالقون )؟! وآلهته الباطلة لا ينسب لها الخلق، بل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ ... ﴾ [الزمر: ٣٨].. فهذا هو الحلقة الأولى.

وأما الحلقة الثانية، فلننظر في هذه الآيات: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ... ﴾ [فصلت: ٣٧]، ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ ... ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

و﴿ ...أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

وهكذا يكون توحيد الله في الخلق دليل وجوب توحيده في العبادة.

وقد يستخدم القرآن ما بني على توحيده في الخلق -كتوحيده في الملك- دليلاً أيضاً لتوحيده في العبادة: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ... ﴾ [المائدة: ٧٦].

﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقد يجمع الله الأصل وما بني عليه:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤٠ - ٤١].

وقد يثبت القرآن عجز المشركين وآلهتهم بالدليل الملموس، والتحدي الصارخ، مما يؤدي إلى نتيجة واحدة هي توحيد الله تبارك وتعالى، ولنأخذ هذين المثالين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ [الحج: ٧٣].

## الدليل الثاني:

دليل النظام الموَحَّدْ، فالناموس الذي يحكم حركة الكون ناموس واحد، مما يدل على أن واضع هذا الناموس واحد أيضاً، وقد نبّه القرآن إلى هذا الدليل كثيراً، فتراه يربط بين أجزاء هذا الكون منبهاً بجمعها على النظام الواحد، والغاية الواحدة، ولننظر مثلاً:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النبأ: ٦ - ١٦].

فمن الذي جمع بين هذه الأجزاء وسخّرها جميعاً لغاية واضحة؟ ولننظر أيضاً:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النمل: ٦٠ – ٦١].

## الدليل الثالث:

عدم فساد الكون[1]، والذي اختصره القرآن بقوله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢١ – ٢٢]. وهذا الدليل يصلح على مختلف جوانب التوحيد، فمثلاً نستطيع أن نقول: لو كان لهذا الكون خالقان لفسد الكون؛ لأنهما إن اتفقا إرادةً وخلقاً فهذا – مع أنه فرض باطل – مؤدّاه أنهما يحتاج كل واحد منهما للآخر، والإله لا يحتاج، وإن اختلفا فسد الكون لا محالة، فهذا دليل على توحيد الله في الخلق، ولو كان في الكون إلهان يحكمان، أو يعبدان ويطاعان، لفسد الكون أيضاً، وفي هذا إشارة إلى أن سبب فساد الكون هو الإشراك في الحكم والطاعة، فكل ما يكون بين الناس من حروب ونزاعات.. الخ سببه الأول عدم الاحتكام إلى حاكم واحد.

## الدليل الرابع:

دليل الفطرة، فالإنسان – لو صدق مع نفسه – فإنه لا سبيل له في إنكار التوحيد، لأنه يجد التوحيد ضرورة في فطرته، وإذا ما غلفت هذه الفطرة فإنها تظهر عند الشدائد والمصائب، ولننظر كيف تحدث القرآن عن هذا الدليل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٠ – ٤١].

---

(١) ويعلق صاحب الظلال على هذه الآية بقوله: «وهنا يضرب يوسف –عليه السلام– ضربته الأخيرة الحاسمة، فيبين لمن ينبغي أن يكون السلطان! لمن ينبغي أن يكون الحكم لمن ينبغي أن تكون الطاعة! إن الحكم لا يكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية، فمن ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه، أولى خصائص ألوهيته، سواء ادعى هذا الحق فرد، او طبقة أو حزب أو أمة أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية» .(في ظلال القرآن ٤/ ١٩٩٠).

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ [الإسراء: ٦٧].

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٣٥].

### الدليل الخامس:

فقدان المشركين للدليل!! فالمشرك مثبت لقضية لا دليل عليها، والمثبت مطالب بالدليل بخلاف النافي، فلا إثبات إلا بدليل، فحينما لا يستطيع المشرك أن يقدم أي دليل على صحة دعواه أن مع الله آلهة أخرى بطلت دعواه وبطلت آلهته، ولننظر كيف صاغ القرآن هذا الدليل: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ٤].

وبعد كل هذه الأدلة يحث القرآن الإنسان أن يَصْدُق مع نفسه وأن يتأمل في مصيره، ويدفعه بقوة إلى هذا التأمل الموصل إلى التوحيد، يدفعه بالترغيب والترهيب، كما سنرى في مبحث «الإيمان باليوم الآخر»، غير أننا نكتفي هنا بمقطع واحد استعجالاً للموعظة والذكرى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٢١ - ٢٤].

٤ - مناقشة المشركين على اختلافهم وتعدد آلهتهم:

فلا تكاد تجد نوعاً من أنواع الشرك إلا وقد ذكره القرآن منبهاً ومناقشاً ومحذراً، ونستطيع الآن أن نمر مروراً سريعاً على هذه الأنواع:

١ - الأصنام: وهي التماثيل التي عبدت على اختلاف أنواعها وتعدد أسمائها، وفي الحقيقة إن أغلب نقاش القرآن مع المشركين إنما هم عبدة الأصنام؛ لأن الأمة التي نزل فيها القرآن كانت أمة صنمية وثنية، وقد وردت كلمة «الأصنام» في القرآن الكريم خمس مرات، منها:

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤].

ووردت كلمة «الأوثان» وهي بمعنى «الأصنام» ثلاث مرات منها:

﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج: ٣٠].

وقد وصف القرآن هذه الأصنام بما ينفّر الناس عنها ويبعدهم عن عبادتها، وذلك ببيان حقيقتها، وانظر مثلاً: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم: ٤٢]. ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٩ – ٧٣].

٢– الشمس والقمر والكواكب: وقد ذكرها القرآن في أكثر من موضع، منها: ﴿ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ... ﴾ [فصلت: ٣٧].

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨ – ٧٩]، ولقد جاءت هذه الآية بعد ذكر الكواكب والقمر.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النجم: ٤٩]، والشعرى: كوكب عبده بعض الناس.

٣– الملائكة والجن: ولنقرأ هذه الآيات: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١]. ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ... ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

٤ – الأنبياء: كعيسى الذي عبده النصارى وجعلوه ثالث ثلاثة وجعلوه ابناً لله، وعزير الذي جعله اليهود ابناً لله، ولنقرأ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢–٧٣].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد حارب القرآن هذه الدعوى الظالمة: أن يكون له -سبحانه- ولد، ورد على جميع القائلين بهذه على اختلافهم، ولنقرأ: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٢ - ٩٣].

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: [١ - ٤]. ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢].

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ النحل.

٥- الأحبار والرهبان: يقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]، ولو تدبرنا هذه الآية لوجدناها تتحدث عن جانب مهم من جوانب التوحيد، وهو جانب الحكم والتشريع، بدليل أنهم لا يصلّون للأحبار والرهبان، ولا يعتقدون أنهم خالقوا هذا الكون، ولنسمع إلى رسول الله ﷺ كيف يبين مدلول هذه الآية يوم أن قال له عدي بن حاتم -رضي الله عنه- "إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ" فقال: (( بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ ))[(١)].

٦- الهوى: الذي قال القرآن فيه:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ومعنى اتخاذ الهوى إلهاً أي حكماً؛ لأنه ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ولذلك قال الله تعالى:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩].

---

(١) انظر: «عقيدة التوحيد في القرآن الكريم» لمحمد أحمد ملكاوي ص٢٧٢ .

## جوانب تميز منهج القرآن في مسألة التوحيد

- الاهتمام الكبير بمسألة التوحيد
- مناقشة المشركين على اختلافهم وتعدد آلهتهم
- التفصيل الشامل لكل جوانب التوحيد (الخمسة)
- الاستدلال المقنع والمنوع لإثبات التوحيد

# المبحث الثالث
# الأسماء والصفات

القارئ للقران الكريم يجد حشداً كبيراً لأسماء الله – تعالى– وصفاته، فلماذا هذا التأكيد والتكـرار؟ ولمـاذا كل هذا الحشـد؟ صحيح أن طبيعة القرآن قد تقتـضي هذا، فليس القرآن إلا كلام الله المُعـرّف بـالله وبحقوقه، غير أن هذا لا يقتضي أكثر من ذكر اسـم «الله» وحده، أما هذه الأسـماء الكثيرة المتكررة فلابد أن يكون لها أهداف أخرى، ولنلق الضوء الآن على المسـاحة التي أخذتها هذه المسـألة في القرآن الكريم، والتي سـنفصل القول فيها من خلال النقاط التالية:

## ١- أسماء الله تعالى:

تكررت في القرآن الكريم كثيراً سواء باسم العلم «الله» أو بالأسماء المقترنة بالوصف مثل «الرحمن»، ولا نريد هنا أن نخوض في هذه الأسـماء الجليلة من حيث الاستقصاء والشرح، وإنما نريد أن نصل إلى بعض الأهداف التي أرادها القرآن، ومن خلال تقسـيم هذه الأسـماء بحسـب معانيها الأساسـية والمساحة التي أخذها كل قسـم من القرآن الكريم ،وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقسم الأسماء إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول: الاسم العلم «الله» وقد تكرر هذا الاسم في القرآن (٢٨١٥) مرة، والحكمة من تكرار هذا الاسم واضحةٌ جلية، فلا نقف عندها.

النـوع الثـاني: الأسـماء التـي تدل عـلى أن الله هو الـرب والخالـق والمالك لهـذا الكون، ولنتمعن في هذه الإحصاءات:

الـربّ: تكـرر في القـرآن الكريم (٩٨٣) مـرة، بصيغ كثـيرة منهـا «رَبِّ الْعَالَمِين» «رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»، «رَبَّكُمُ»..الخ .

الخالق: تكرر بنحو تسع مرات. والخلاق مرتين، والملك : خمس مرات، ومالك: مرتين، والبارئ: ثلاث مرات، والولي: إحدى وثلاثين مرة، والمحي: مرتين.

النـوع الثالـث: الأسـماء التـي تـدل عـلى أن الله عليـم بخلقـه، ولننظر في هذه الأسـماء وأرقامها:

العليـم:١٥٨ ،عالم: ١٣، عـلام:٤ ، أعلم: ٤٩ ، خبير:٤٥ ، شـهيد: ١٧، اللطيف:٧ ، الحكيم:٩٦ ، سميع:٤٥ ، بصير:٤٤ .

النـوع الرابـع: الأسـماء التـي تدل عـلى أن الله قادر على خلقـه، ولننظر في هذه الأسـماء وأرقامها:

القديـر: ٤٥، القـادر بالمفرد وصيغة المعظم لنفسـه: ١٢، القـوي:٩ ، المتين:١ ، فعَّال لما يريد: ٢.

النوع الخامس: الأسماء التي تدل على أن الله رحيم بخلقه:

الرحمـن: ١٦٩، الرحيـم:٢٢٧، الـودود: ٢، البَرُّ: ١، المجيب: ١، شـكور: ٤، شـاكر: ٢، السـلام: ١، الحليـم : ١١، الغفـور: ٩١، الغفار: ٥، غافر: ١، التـواب: ١١، العفو: ٥، الكريم: ٣، الأكرم: ١، القريب:٣، الوهاب:٣.

النوع السادس: الأسماء التي تدل على عظمة الله وعلوه وقدسيته:

العزيز : ٩٠، القهار: ٦، القاهر: ٢، العلي: ٨، الأعلى: ٢، المتعال: ١، العظيم: ٦، الكبير: ٥، المتكبر: ١، الجبار: ١، المهيمن:١، المجيد: ٢، القدوس: ٢.

هـذه الإحصائيـة التقريبيـة تضمنت أغلب أسـماء الله – تعـالى ـ التـي وردت في القرآن الكريم، وما عدا هذه فهو قليل، ولا يخلو من هذه المعاني المتقدمة، ولنأخذ بعض الأسماء:

الأول: ١، الآخر: ١، الظاهر: ١، الباطن: ١، الهادي: ٢، الحفيظ: ٣، المحيط: ٨، الوكيل: ١٤، الأحد: ١، الواحد: ٢٢، الصمد:١، النور: ١، القيوم: ٣، الحق: ١٠، الحميد: ٧ .

هـذه الأسـماء تكـررت في القـرآن الكريـم بصيغ كثـيرة تعمـل عملها في نفس القارئ وضمـيره، فقد يأتي الاسـم لوحده مصدرة به آية من كتـاب الله كما في: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن، ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[النـور: ٣٥]، وتـارة يختم القرآن آياته باسـمين كريمين يحملان دلالة مقصودة تناسـب المقام، فانظر مثلاً: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٣٨﴾ [المائـدة: ٣٨]، ثـم انظـر: ﴿...وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وهذه الأسـماء لم تعزل في مبحث مستقل، وإنما بثت في القرآن في جميع أحكامه وقصصه ومواعظه، مما كان له الأثر الكبير في استقامة الناس وسلوكهم مسلك القرآن الشامل عقيدة وعبادة وأحكاماً وأخلاقاً.

وهـذه الأسـماء جاءت من البسـاطة والوضوح بحيـث يفهمها الأمي عـلى أميته، وأيمُ الله لقـد كنـت متهيبـاً مثل هذا البحـث مبحث الأسـماء والصفات مبحث معقـد لا يفهمه إلا الراسـخون في العلـم، على خـلاف بينهم، وكنت أسـأل نفسي لماذا يتضمـن القرآن كل هـذه المباحث الصعبة المعقـدة؟! وكيف فهمها بلال وأبو ذر وصهيب؟! هذه المباحث التي دوخـت الأجيـال المتعاقبة من أهـل العلم.. كيف؟! ولمـاذا؟! ولكني حينـما فتحت القرآن لأقرأه من جديد، لأقرأ وأنا متجرد من مباحث هذه الأجيال ذهب الخوف، وزالت الحيرة، وأدركت أن الله الذي ملأ كتابه باسـمه «الرحمن» واسـمه «الرحيم» حاشـاه أن يجعل كتابه نفسه مصدر قلق واضطراب وفرقة وشتات، وأدركت أن التعقيد لم يأت من القرآن.

ولقد جاءت هذه الأسـماء متناسبة مع وظيفة الإنسان على هذه الأرض، فهو مستخلف أجـير، وهذا الأجـير بحاجة إلى أن يعرف مـن هو مالك هذه الأرض (ميـدان عمله)، وما هو اسـمه الذي يناديه به، وبحاجة إلى أن يعلم أن الذي اسـتأجره عالم به حتى لا يغش ولا يخـادع، وأنه قادر عليه حتى لا يسـتهين، وأنه رحيم به حتـى لا ييأس ولا يقنط، فليس هذا المبحث مبحثاً نظرياً وإنما هو واقعي عملي، يتطلبه واقع الإنسان على هذه الأرض.

ولقـد بحث الإمـام البيهقي -رحمـه الله- موضوع «أسـماء الله تعـالى»، ووزعها مجاميع بحسـب معانيها، وبين موقف المسـلم منها، وقد أغنى وأكفى، وغالـب كلامه فيها نافع في مجال العمل والسلوك، لأنه ابتعد بها عن مناهج النظر والفلسفة[1].

ويمكن توضيح الصلة بين أسماء الله -عز وجل- التي ذكرت في القرآن وميدان التكليف بالنموذج التالي:

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الأسماء والصفات» ص٤- ٩٤ .

## صلة أسماء الله بميدان التكليف

| أسماء الله | آثارها | الإنسان |
|---|---|---|
| الاسم العلَم | ← | استحضار جميع معاني الأسماء والصفات في الذكر والدعاء |
| أسماء تدل على الربوبية | ← | معرفة الله والشعور بالطمأنينة |
| أسماء تدل على العِلم | ← | مراقبة الله في كل حال |
| أسماء تدل على القدرة | ← | الخشية وعدم الاستهانة |
| أسماء تدل على الرحمة | ← | عدم اليأس والقنوط |
| أسماء تدل على العظمة | ← | التواضع والخضوع |

### ٢- صفاته تعالى:

نستطيع أن نقسم صفات الله -تعالى- الواردة في القرآن الكريم إلى أقسام كثيرة، وباعتبارات متعددة، غير أننا سنختار هنا تقسيماً ينفعنا في تحديد علاقة الصفات بالأسماء[1]، ثم في تحديد الغاية من ذكر هذه الصفات، ومنهج القرآن في كل هذا، وعلى أساس هذا التقسيم يبدو لي أن الصفات تندرج تحت الأقسام الأربعة الآتية:

#### القسم الأول:

صفات اقترنت بأسمائه تعالى، وهي الأسماء الحسنى التي تدل على صفات معينة لله تعالى، وهذا يندرج فيه كل انواع الأسماء التي مرت عدا النوع الأول، فالأسماء التي تدل على الربوبية والخلق أو العلم أو القدرة أو الرحمة أو العظمة كلها أسماء اشتقت من الوصف، فهي أسماء وصفات، وقد فصلنا القول فيها آنفاً.

#### القسم الثاني:

صفات تحمل معاني الأسماء المتقدمة غير أنها لم تأت بصيغة الاسم، وكأنها جاءت مؤكدة لهذه الأسماء، ولنأخذ بعض الأمثلة:

أ- الأسماء التي تدل على الربوبية والخلق، مثل «رب العالمين» و«الخلاق» و«مالك يوم الدين»، هذه الأسماء جاءت معانيها مكررة في صيغ أخرى مثل:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩ ]، ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾[البقرة: ١٠٧]، ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ... ﴾ [الحج: ٥٦ ]، وهكذا.

ب- الأسماء التي تدل على العلم، مثل "العليم" و"السميع" و"البصير:، جاءت مؤكدة أيضاً بصيغ أخرى غير الأسماء، مثل:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... ﴾ [الملك: ١٤]، و﴿ ...وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ... ﴾[الأنعام: ١٠٣]، ﴿ ...أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ... ﴾ [الكهف: ٢٦]، و﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢ ].

ج- الأسماء التي تدل على القدرة، مثل "القدير" و"القوي"، جاءت مؤكدة أيضاً بصيغ أخرى، مثل: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٣].

---

(١) انظر النموذج الذي يوضح العلاقة بين الأسماء والصفات في ص ١١٠ .

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ... ﴾[الفتح: ٢١]، ﴿ ...وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ... ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿ ...أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ... ﴾[فصلت: ١٥].

د- الأسماء التي تدل على الرحمة، مثل: «الرحمن» و«الرحيم» و«الودود»، جاءت مؤكدة بصيغ أخرى، مثل: ﴿ ...كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... ﴾[الأنعام: ١٢]، ﴿ ...لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ... ﴾[الزمر: ٥٣]، ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... ﴾[فاطر: ٢] ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ... ﴾[آل عمران: ١٥٩] ، ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ... ﴾ [النمل: ٦٢] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ... ﴾ [الشورى: ٢٨].

هـ- الأسماء التي تدل على العظمة، مثل «العلي» و«الجبار» و«المتكبر» جاءت معانيها مؤكدة بصيغ أخرى، مثل: ﴿ ...فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[فاطر: ١٠]، ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ... ﴾[الدخان: ١٦]، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾ البروج ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ... ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وهكذا يتبين لنا أن هذا النوع ليس مستقلاً عن النوع الأول، وإنما هو مؤكد له، ولكن بصيغ أخرى، فتارة تكون الصفة بإضافتها إلى الله،: ﴿ ...لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ... ﴾ [الزمر: ٥٣]، وتارة بإسناد فعلها إلى الله: ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ ، ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ، وتارة على سبيل الاختصاص، مثل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، ﴿ الْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾ ، إلى غير هذا.

والحقيقة أن هذا النوع والذي قبله يشكلان الغالبية العظمى من صفاته تعالى، وأما ما تبقى فهو قليل إذا قورن بما تقدم.

## القسم الثالث:

صفات لا يدل ظاهرها على علاقة معنوية مع هذه الأسماء، بل إن ظاهرها ولّد نوع إشكال في فهم المدارس الكلامية، ونستطيع أن نقسم هذا النوع إلى ما يأتي:

أولاً: أبعاض وأعضاء أضيفت إلى الله -تعالى-، مثل:

أ- الوجه: في مثل قوله تعالى: ﴿ ...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ... ﴾[القصص: ٨٨]، و﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، و﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... ﴾[البقرة: ١١٥].

ب- العين: في قوله: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ... ﴾ [هود: ٣٧] ،

و﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ... ﴾[القمـر: ١٤]، و﴿ ...فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ... ﴾[الطور: ٤٨ ]، و﴿ ... وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

جـ- اليـد: في مثـل ﴿ ...يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾[الفتـح: ١٠]، (و﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ... ﴾ [الملك: ١]، و﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ... ﴾ [ص: ٧٥].

ثانياً: أفعال لازمة (اختيارية) لا تقوم إلا بالفاعل، وتدل على معان ليس لها علاقة بأسماء الله الحسنى، وهي قليلة في القرآن، وذلك مثل:

أ- «اسـتوى» وهـو المكـرر أكثر من غـيره في مثـل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ ...ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [البقرة: ٢٩ ].

ب- «يـأتي» في قولـه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ... ﴾ [البقـرة: ٢١٠]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ... ﴾ [الأنعام:١٥٨].

جـ- «جاء» في قوله ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

ثالثاً: أفعال متعدية لكن ليس لها علاقة بأسـماء الله الحسـنى، بـل قد يكون ظاهرها على خلاف أسمائه الحسنى، وذلك مثل:

أ- «يستهزئ» في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... ﴾ [البقرة: ١٥].

ب- «يمكر» في قوله تعالى: ﴿ ...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ... ﴾ [الأنفال: ٣٠].

جـ- «أكيد» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥- ١٦].

رابعاً: إضافة الجهة إلى الله -تعالى-، وذلك مثل:

أ- «الفـوق» في قولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعـام: ١٨]، و﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠].

ب- «المواجهة» في قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

إن هذا النوع في القرآن الكريم قد أثار ويثير تساؤلات كثيرة، واختلافات خطيرة[١]، غير

---

(١) وهـذا مـا دفع أسـتاذنا الدكتور محسـن عبـد الحميد ليفرد لهذا الموضوع بحثاً مسـتقلاً أسـماه «تفسـير آيـات الصفـات» جاء في مقدمته:» وقد لاحظـت ولاحظ معي العاملون في الحقل الإسـلامي الحديث في السنوات القليلة الأخيرة تياراً يزعم ان منهجه قائم على تصحيح العقيدة ومحاربة مظاهر الشرك في المجتمع الإسـلامي، يشـغل الجو الإسلامي بالمساجد وغيره بمناقشات عقيمة حول تفسير الصفات الإلهية الخبرية .. إلى أن يقول:»وكان هذا الوضع المؤلم دافعي الاول في العودة إلى آيات الصفات وقراءتها قراءة جديدة» أ

أن السـؤال الأول الذي يهمنا هنا، هو لماذا ذكر القـرآن هذه الصفات أو هذه الإضافات؟! ومـا فائدة الإنسـان الذي يعيش على هذه الأرض من هذه الأخبـار الغيبية؟!! إن الصفات الأولى واضحة الدلالة واضحة الغاية، لكن هذه تختلف اختلافاً كبيراً .. إنني هنا لا أريد أن أبين رأيي في هذه المسـألة، فهذا له مكان آخر[1]، ولكني وأنا أتحدث عن منهج القرآن لابد أن أشـير إلى بعض النقاط القرآنية حول المسـالة التي قد تكشف لنا جانباً من الحقيقة، وتبين لنـا أن القرآن لم يهتم بهذا النوع اهتمامه بالنوع الأول، ولابد أن يكون هذا مقصوداً، ولننظر أولاً إلى هذه الملاحظات:

١- من حيث المساحة التي أخذها النوع في القرآن الكريم تجاه ما قبله، ونظرة واحدة في الإحصاءات السابقة تكفي، ومن قرأ أي ورقة في القرآن لا على التعيين فإنه لابد واجد من تلك الصفات المقترنة بأسمائه الحسنى -سبحانه وتعالى-، بخلاف الصفات الخبرية هذه.

٢- مـن حيـث أنهـا مقصودة مـن السـياق أم لا، وهذه القضيـة ينبغي الوقـوف عندها لأنها تعني أشـياء كثيرة، فلماذا جاءت هذه الصفات في الغالب ليست مقصودة من النص؟

ولنأخذ هذا المثال: لفظة «العين» وردت مضافة إلى الله في أربعة مواضع، فلننظر فيها:

[وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا] ثم قال في الموضع الثاني [تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا]...

فالقـرآنَ يتحدث في الموضعين عن سـفينة نوح -عليه السـلام-، ولم يأت النص لتقرير صفة إلهية، وأما الموضعان الآخران فهما:

[فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ...] و [وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي] فهل يجد القارئ فيهما أنهما جاءتا لتقرير صفة إلهية؟! .

٣- وهذه النقطة متصلة بما قبلها وفصلناها لأهميتها، وهي أن الصفات المقترنة بالأسماء قـد تـأتي مصدرة بالأمر بالنظر فيها أو تصديقها والإيمان بها، وانظر مثلاً في مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ [محمـد : ١٩]، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الغاشـية، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾

---

هـ . ولقد دفعني هذا أيضاً لاختيار موضوع البحث في مرحلة الماجستير «الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة»، وقد قمت فيها باستقراء تام لجميع الصفات الخبرية في الكتاب والسنة، مبيناً أقوال العلماء فيها من السلف والخلف .

(١) ينظر الصفات الخبرية للمؤلف .

[فصلت: ١٥]، لكنه في الصفات من النوع الثالث لم يرد شيء من هذا فلم يرد: اعلموا أن لله أعيناً، أو انه يأتي وينزل.

٤- إنّ القرآن جادل الذين ينكرون بعض تلك الصفات، وأقام الأدلة على إثباتها بخلاف هذا النوع، فانظر مثلاً كيف يثبت الله وحدانيته بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ويبين بقوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤]، في هذا النوع الأخير.

٥- إن القرآن قد رتب نتائج على الإيمان بتلك الصفات أو عدم الإيمان بها فانظر مثلاً: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ... ﴾ [الزمر: ٦٥]، و﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣]، و﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، لكنه لم يرد نص -بحسب علمي- يرتب عقوبة على من أنكر شيئاً من هذه الصفات، وهذا لا يعني جواز إنكار هذه النصوص.

٦- إنّ الصفات من هذا النوع لو أخذت على ظاهرها فإنها ستترك مجالاً فارغاً في الفكر والتخيل بسبب أن القرآن لم يرد فيه تفصيل لهذه الصفات، ونستطيع القول: إن القرآن لم يقصد أصلاً أن يعطي العقل البشري تصوّراً ولو صغيراً عن حقيقة الإله وكنهه -تبارك وتعالى- ولنوضح هذا بما يلي:

إن القرآن أحكم الدائرة الأولى في الأسماء والصفات، فكل ما يحتاجه الإنسان من صفات الله بيَّنه له القرآن، فالاسم، والوحدانية، والعلم والقدرة، والرحمة، كلها صفات يحتاج الإنسان معرفتها عن الله، لذلك جاءت متكاملة متناسقة، لا تثير في الفكر الإنساني خللاً أو تشويشاً، لكن انظر في الصفات الأخيرة حينما أخذها المشبهة على ظواهرها، ماذا حدث لهم، حدث لهم شكل محيّر ليس هناك أي حكمة في تصوره، فماذا يعني أن تعتقد أن لهذا الشكل عيناً أو أعيناً ويداً أو يدين وأيدي ووجهاً وساقاً، إن هذه الألفاظ هي التي أضيفت في القرآن إلى الله - مع الخلاف في الساق- لكنه على شتى الاحتمالات والتفسيرات

فالقائلون بظواهرها لا يحصل لهم شكل متكامل، وفي هذا تشويش للعقل والتخيل، فلماذا أحكم القرآن التصور الأول بينما ترك هنا مساحة فارغة يعبث بها الخيال؟!.. قد نستطيع أن نجيب، ولكن لننظر أولاً في الملاحظة الأخيرة:

٧- إن القـرآن في الكثير من المواضع وصف بعض خلقه ببعض هذه الصفات وأمثالها، ولم يكن المقصود الظاهر القاموسي اتفاقاً، ولنأخذ بعض الأمثلة:

أ- في الأعضاء والجوارح لنقرأ هذه الآيات:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ... ﴾ [آل عمـران: ٧٢].

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر: ٧].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ... ﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿ ...إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ... ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

﴿ ...فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾ [البقرة: ٩٧].

﴿ ...أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ... ﴾ [يونس: ٢].

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ... ﴾ [الإسراء: ٢٤].

ب- في الأفعال لنقرأ هذه الآيات:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ... ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿ ...وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ... ﴾ [الزمر: ٦].

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التكوير: ١٨].

جـ- في الجهة والمكان:

﴿ ...وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

﴿ ...لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤].

﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾ [الدخان: ١٩].

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين: ٤ - ٥].

إن هـذه الملاحظـات مجتمعـة توصلنا إلى أن هـذه الأخبار لم تـأتِ لتؤصِّل أصلاً من أصـول الديـن، وإنما هي أخبار يجب تصديقها ثم دراسـتها بحسـب مواقعها في القرآن،

للتوصل إلى المقصود منها، فغالباً ما يكون مقصودها واضحاً، فإذا فهمنا المقصود فلا علينا بَعدُ أن نخوض في الكنه والكيف، فهذا ليس مجال تفكيرنا، وقد يرد أن فهم المقصود لا يمكن إلا بفهم حقيقة اللفظ ومعناه، والجواب: أن القرآن نفسه حوى أخباراً أخرى لا تتعلق بالصفات نفهم مقصودها دون أن نفهم حقيقة مدول الخبر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات، فالمقصود الترهيب وإثارة الاشمئزاز، ولكن الكنه مجهول.

هذه الملاحظات تقودنا أيضاً إلى أن نفسح في صدورنا لتقبل الخلاف في تفسيرها، ولا ينبغي ان تعد الفيصل بين الإيمان والكفر أو بين التوحيد والشرك، لاسيما أن السلف لم يقفوا عندها طويلاً، ومن وقف عندها فسّرها بتفسيرات كثيرة تصح أن تكون الجذور الحقيقية للمذاهب الكلامية في الصفات هذه[1] والله أعلم.

**القسم الرابع:**

صفات نفاها القرآن عن الله تعالى:

وقد يكون هذا النفي ابتداء، وقد يكون ردّاً على شرك المشركين وجهل الجاهلين، وغالب ما نفي عن الله يثبت له ضده، كما سنرى:

١- نفي الشرك: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ [إبراهيم: ١٠] ، والشك هذا لم يحدده القرآن ولعله أطلقه قصداً، فالشك في وجوده أو ربوبيته أو قدرته كل ذلك منفي عن الله سبحانه وتعالى .

٢- نفي الشريك: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ [محمد: ١٩ ]، ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ... ﴾ [الأنعام: ١٦٣ ].

٣- نفي الولد: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ البقرة، ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل: ٥٧ ]، ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ [الكهف: ٤].

٤- نفي الوالد: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤].

---

(١) انظر: «تفسير آيات الصفات» د. محسن عبد الحميد، ص٢٠- ٧١ ، و«الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة»، فصل في الصفات الخبرية عند السلف، ص٥٩- ٧٨ .

٥- نفي الصاحبة: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ...﴾ [الأنعام: ١٠١].

٦- نفي العجز: ﴿...وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

٧- نفي الغيوب: ﴿...وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨].

٨- نفي النوم: ﴿...لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٩- نفي الظلم: ﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

١٠- نفي اللعب: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨﴾ [الدخان: ٣٨].

١١- نفي العبث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ...﴾ [المؤمنون: ١١٥].

١٢- نفي أن يُدرَك: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ...﴾ [الأنعام: ١٠٣].

| أسماء الله الحسنى | صفات الله تعالى |
| --- | --- |
| ١. الاسم العلم: (الله).<br>٢. أسماء تدل على الربوبية: (الخالق، المالك، .....).<br>٣. أسماء تدل على العِلم: (العليم، الحكيم، ....).<br>٤. أسماء تدل على القدرة: (القدير، الغفور، .....).<br>٥. أسماء تدل على الرحمن: (الرحيم، الغفور، ....).<br>٦. أسماء تدل على العظمة والعلو والقدسية: (العزيز، القهار، ....). | ١. صفات مقترنة بأسماء الله الحسنى.<br>٢. صفات مؤكدة للأسماء لم تأت بصيغة الاسم: (يحيي ويميت، يدرك، الأبصار، ....).<br>٣. ألفاظ أضيفت إلى الله تعالى لا يدل ظاهرها على علاقة معنوية مع الأسماء، ولم تأت في الغالب في سياق تقرير صفة إلهية: (فإنك بأعيننا، ولتصنع على عيني ...).<br>٤. صفات نفاها القرآن عن الله تعالى: (لا شريك له- لا تدركه الأبصار، ...). |

## المبحث الرابع
## القَدَرْ

لا ريب أن موضوع القدر من المواضيع الشائكة الخطيرة، وهو وثيق الصلة بموضوع الصفات، لا أن ما يتناول الجانب الإنساني منه أكبر، حيث إن من مسائل القدر العويصة: هل الإنسان مخير أم مسير؟ ولا شك أن هذا السؤال لا يمكن التفويض فيه، كما هو الشأن في كثير من الصفات، لأنه يمس الجانب العملي التكليفي، فكيف تعامل القرآن مع هذه القضية؟ وما هو منهجه في ذلك؟.

**لعلنا نستطع أن نتلمس المنهج القرآني من خلال النقاط الآتية:**

١- إن الله تبارك وتعالى له الإرادة المطلقة، فهو يفعل ما يشاء ويختار، ولا يستطيع أحد أن يقيد إرادة الله، وقد أضاف القرآن لفظ الإرادة والمشيئة إلى الباري تعالى بنحو (٢٥٠) آية، ولنتمعَّن في هذه الآيات:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٢٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]

٢- إنه تعالى مع إرادته المطلقة إلا انه لا يمكن أن يظلم أحداً، واقرأ معي:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: ١٠٨].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

٣- إنه تعالى قد ينعم على إنسان، ويقتِّر على آخر، ويمرض آخر، ويعافي آخر، وليس في هذا ظلم، وإنما هو «الابتلاء والاختبار»، فليس الخير خيراً بنفسه، ولا الشرّ شرّاً بنفسه،

وإنـما قد ينقلب الخـير شراً حينما يقود الخير إلى البطر، وينقلب الـشر خيراً إذا قاد إلى الصبر والتسليم، فالله يختبر عباده بما يشاء، ووفق الحكمة الإلهية التي قد لا ندركها، واقرأ معي:

﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧].

﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥ – ١٥٦].

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥].

٤- وبعـد هـذه الحقيقة الكبيرة يأتي القرآن ليدخل في المجال العملي التكليفي، ونتلمس هذا في بعض النماذج الآتية:

أمتدح القرآن الشاكرين الذين يحسنون استعمال النعمة كما يأمر الله، فبما أن الله هو الذي خلقها ليبتليك أتشكر أم تكفر، فلا بد أ ن يحثك على أن تكون من الشاكرين ، ولهذا وردت مادة « شكر » في القرآن الكريم بنحو (٧٥) مرة، ونقرأ منها:

﴿ .....وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأنفال.

﴿ .....قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ النمل. ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ... ﴾[النحل : ١١٤].

وحث القرآن على الصبر، وامتدح الصابرين، حتى ورد « الصبر » في القرآن الكريم بما يزيد (١٠٠) مرة ، ولنتبارك ببعضها :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد.

﴿ ...وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل.

﴿ ...ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ... ﴾ [محمد : ٣١].

وحسم القرآن قضية الخوف من الموت، فالأجل مقدر محتوم، لا يقبل اندفاعاً ولا تأخيراً، وبالتالي فالمسلم لا يرهب الموت، لا بل ربما يعشق الميتة العزيزة الشريفة، ويسعى لها بقدميه يوم أن تكون في سبيل الله، وبهذه العقيدة تفجرت الطاقات وخرجت الزحوف تلو الزحوف لإعلاء كلمة الحق في كل أرض الله دون خوف أو وجَل، وقد حرص القرآن على هذه العقيدة، وأكد عليها بعشرات الآيات، وبأساليب مختلفة، ولْنقرأ:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ... ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]. وقد ماتوا فما درؤوا !!.

وحث القرآن على الإنفاق؛ لأن الرزق من الله، والملك لله، والله يضاعف لمن يشاء، وما كان لغيرك لن يصل إليك، وما كان لك يصل لغيرك، وقد حشد القرآن لهذه القضية ما يصعب حصره من الآيات، وهذه أمثلة منها:

﴿ ...وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩].

﴿ ...وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ البقرة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الصف.

هـ - ولأن الله تعالى يفعل ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه فعلى المسلم أن لا ييأس ولا يقنط، بل يبقى متفائلاً، متطلعاً إلى رحمة الله وفرجه، فلا شيء يقف أمام إرادة الله، فعليه أن يقف سائلاً راجياً متضرِّعاً، واسمع هذه النفحات القدسيات:

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف.

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر.

٥- ومع تأكيد العقيدة القرآنية على الأيمان بإرادة الله المطلقة والتي ينبني عليها تسليم العبد لقضاء الله وقدره بالصبر أو الشكر فإنّ القرآن لا يهمل الإرادة الإنسانية التي منحها الله للإنسان والتي هي مدار التكليف بالأمر والنهي، ثم الحساب بالثواب أو العقاب، ولذلك فالصبي والمجنون والمكره من فاقدي الإرادة لا يحاسبون على تصرفاتهم، أما الذين يملكون الاختيار والإرادة فهم مسؤولون عن تصرفاتهم:

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ البقرة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة.

وهكذا تكون عقيدة القدر القرآنية عقيدة عملية، مهمتها أن تدفع بالإنسان لأداء وظيفته على هذه الأرض شكراً وصبراً وجهاداً وإنفاقاً وأملاً، فلأن الله يبتلي عبادة بالنعمة وضدها فعليك أن تشكر أو تصبر، ولأن الله كتب عليك الموت بأجل محدد فجاهد في سبيل الله ولا تخف، ولأن الله هو الرزاق فأنفق مما رزقك الله، ولأن الله يفعل ما يريد فعلى المسلم أن يلجأ إلى الله ولا ييأس، ولأن الله منح الإنسان حرية الاختيار والقدرة على أن يفعل الخير وغيره فعليه أن يتحمل مسؤوليته، وينتظر نتيجة جهده على هذه الأرض ثواباً أو عقاباً، جنة أو ناراً، وابتعد القرآن عن القدر الفلسفي الغيبي لا يورث إلا إرباكاً وانطواءً، أو جدلاً وصراعاً، فما أحلى عقيدة القرآن، وما أبهى جيلاً تربَّى على هذه العقيدة.

وهي عقيدة واضحة !! لقد قرأت النصوص التي مرت فهل وجدت إشكالاً في فهمها؟ صحيح أن هناك نصوصاً تشير إلى الإرادة الإلهية المطلقة المهيمنة، وأخرى إلى حرية الإنسان، وقد يجمعها نص واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التكوير.

فانظر كيف أثبت مشيئة الإنسان أولاً ثم عقب بالمشيئة الإلهية المهيمنة، ولكن أي إشكال في هذا إذا لم تتجاوز النص؟ فالنص يثبت لك المشيئة، فهل تنكرها أنت؟ كيف وأنت تحس بها في كل لحظة، حينما تريد أن تأكل، أو تنام، أو تصلي، أو تقرأ، أو تكتب، بل أنت تتصرف على أساس هذه المشيئة مع الكون من حولك، ولو سقط عليك جذع من السقف لا تغضب عليه؛ لأنّه ليست له مشيئة، فلو ضربك امرؤ بعصا فإنك تغضب؛ لأن صاحب العصا له

مشـيئة، مع أن العصا أخف من الجذع!!![1] فأنت إذاً لا تشـك بمشـيئتك - إطلاقاً - ولا بمشـيئة كثير من المخلوقين، فهي واضحة وضوح الشـمس، فقل لي إذاً: هل جاء الغموض من الشطر الثاني؟ إذا أثْبتَّ للمخلوق مشيئة واضحة كالشمس، فكيف تنكر مشيئة الخالق؟ هـذا الذي تحدث بـه القرآن؛ اثْبتَ لك مشـيئة وأثْبتَ لربك مشـيئة، وكلا الأمرين في غاية الوضوح، لكنك ذهبت أبعد من هذا لتسـاءل عن طبيعة العلاقة بين مشـيئتك ومشيئة الله، وماذا لو تعارضا؟ وهذه لم يتحدث عنها القرآن؛ لأنّها لا تنفع الإنسان في ميدان التكليف.

والنموذج في الصفحة التالية يوضح الآثار العملية لإرادة الله عَزَّوَجَلَّ المطلقة، والمترتبات على إثبات إرادة للإنسان، والعلاقة بين تلك الإرادتين.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: "دفاع عن العقيدة والشريعة" محمد الغزالي، ص ١٠١ .




للّه إرادة مطلقة
(ولكنه لا يظلم أحداً بل يبتلي بالخير والشر)

ما العلاقة ؟

للإنسان إرادة خاصة
(مدار التكليف)

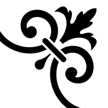
جانب غيبي سكت عنه القرآن

**الآثار العملية**

- الشكر على الخير
- الصبر على الابتلاء
- حسم قضية الخوف من الموت
- الإنفاق في سبيل الله
- الأمل وعدم اليأس

**المترتبات**

- الثواب على الطاعة
- العقاب على المعصية



# الفصل الثالث
# النُّبوات

- المبحث الأول : الأنبياء والرسل عليهم الصلاة السلام .
- المبحث الثاني : الوحي والرسالات .




# المبحث الأول
# الأنبياء والرسل

**قد نستطيع أن نبين منهج القرآن في هذا الموضع من خلال النقاط التالية:**

**أولاً: مصطلحا النبي والرسول في القرآن:**

تجدر الإشارة أنه ليس في القرآن تفريق صريح بين مصطلح "النبي" ومصطلح "الرسول" وهي مسألة خلافية معروفة بين أهل العلم، إلا أنه من الممكن ذكر الفارق اللغوي الواضح، إذ "النبيُّ" مشتق من النبأ وهو الخبر، وعليه فإن النبي هو الذي يأتيه الخبر، من السماء (الوحي)، وأما الرسول فهو المبعوث برسالة – كما هو ظاهر –، وعليه فإن الرسول هو الذي يكلف بحمل الرسالة السماوية (الوحي) إلى الناس.

وربما نلمح هذا الفرق في الاستخدام القرآني لهذين المصطلحين فنجد القرآن يستعمل مصطلح " النبي " في الخطاب الموجه من الله إلى نبيه، مثل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ التحريم، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال.

وأما مصطلح «الرسول» فنجد القرآن يستخدمه بمعناه اللغوي فيكثير من المواضع، مثل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يس، و﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الشعراء، وكذلك: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الشعراء، ونحو هذا في القرآن كثير.

ولأن الرسول يكلف بحمل الرسالة من السماء فهو نبيّ من وجه رسول الله من وجه، فهو نبي من الله، ورسوله إلى الناس، ولهذا يجمع الله الصفتين في شخص واحد، مثل قوله – تعالى – لنبيه محمد ﷺ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ الأحزاب، وعن موسى عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم.

### ثانياً : أهمية الإيمان الأنبياء :

منح القرآن الكريم مسألة الإيمان بالأنبياء والرسل أهمية كبيرة تتناسب مع عظمتها وخطورة شأنها، فإننا حينما تحدثنا عن التوحيد فهمنا أن التوحيد لا يتم بل ولا يسمى توحيداً إلا بإفراد الله في العبودية، إذ معنى « لا إله إلا الله « أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله، والمعبود هو المطاع ، والعبادة هي امتثال الأمر والنهي، وهذا يقضي أن لله أوامر ونواهي، فكيف يتعرف الإنسان على هذه الأوامر والنواهي؟ إنه لا طريق للتلقي من الله إلا بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وعلى هذا فإن الذي لا يؤمن بالرسل لا يمكن أن يكون موحداً لله، ومن هذا ندرك لماذا أهتم القرآن بهذه القضية، ولنلاحظ الآن مظاهر هذا الاهتمام في النماذج التالية:

أ- كثيرة النصوص القرآنية التي جاءت مُفَصِّلة ومبينة ومؤكدة لهذه القضية ، ويكفي أن نعلم أن كلمة «الرسول» وحدها تكررت في القرآن الكريم بنحو (٣٦٣) مرة، وكلمة «النبي» (٧٥) مرة، وأما الحديث عنهم عليهم الصلاة والسلام، وما جرى فهذا استطيع أن أجزم أنه يمثل أغلب القرآن.

ب- اقتران الإيمان بهم بالإيمان بالله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، سواء أكان هذا في النبوة العامة أم الخاصة، ولنأخذ بعض النماذج من الصنفين فأما في النبوة العامة فلنقرأ مثلاً:

﴿ ...وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾[الحديد: ١٩].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ النساء.

وفي النبوة الخاصة لنقرأ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿ ...فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ... ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ... ﴾ [التوبة: ٥٤].

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ [التوبة: ٦٣].

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾ [النور: ٦٢].

ج- التحذير من تكذيبهم وتخويف المكذبين بما لاقى أسلافهم ويكفي أن نمر على هذه الآيات:

﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ ﴾ القمر.

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥ ﴾ ص.

﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤ ﴾ الحجر.

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ ﴾ الإسراء.

**ثالثاً: وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام:**

أكد القرآن الكريم على أن وظيفة الرسل الحقيقة إنما هي التبليغ، تبليغ شريعة الله لخلق الله، ولنقرأ هذه الآيات:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ... ﴾الشورى: ٤٨.
﴿ ...وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ العنكبوت.
﴿ ...فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ النحل.

وقد يأتي التبليغ بلفظ الدعوة والتبين والهدى، كما في هذه الآيات :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ النحل: ١٢٥.
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... ﴾ [إبراهيم: ٤].
﴿ ...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].
﴿ ...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى.

وقد يأتي بلفظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لزيادة مقصودة في معنى التبليغ، ولنقرأ:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد يقترن التبليغ بالوعد أو الوعيد، فيكون تبشيراً أو نذيراً، وقد تكرر هذا في هذا القرآن كثيراً، ولنقرأ:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ [البقرة: ١١٩].
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].
﴿ ...إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ... ﴾الرعد: ٧.
﴿ ...فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [البقرة: ٢١٣].
﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾[الأنعام: ٤٨].

والتبليغ قد يحتاج إلى جهاد بالنفس والمال، فيكون الجهاد واجباً عليهم وجزءاً من وظيفتهم، ولنقرأ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [التوبة: ٧٣].
﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الفرقان.

والتبليغ قد يكون خاصّاً لقوم مخصوصين، كما هو حال الأنبياء السابقين، وقد يكون عامّاً للناس أجمعين، كما هو في حق سيدنا محمد ﷺ ولنقرأ أولاً أمثلة من التبليغ الخاص:

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشعراء.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ الشعراء.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦١].

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾ [الأعراف: ٨٥].

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ...﴾ [الأعراف: ١٠٣].

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ...﴾ [يونس: ٩٨].

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ...﴾ [الصف: ٦][1]

ثم ولنقرأ أمثلة من التبليغ العام:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ...﴾ [سبأ: ٢٨].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ ...﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ ...﴾ [النساء: ٧٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣].

وينبغي الإشارة بعد هذا إلى حقيقة مهمة وهي أن وظيفة الرسل هذه يتحملها المؤمنون من بعدهم؛ لأن عمر الرسول محدود، ولا تتم الفائدة إلا بوجود ورثة للرسول يحملون بعده هذه الأمانة، وإلا تطلَّب الأمر وجود الرسل أبداً بين الناس، أو ضياع الأمر والنهي، ولهذا يقول الله تعالى مخاطباً الأمة بما خاطب به نبيها:

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ آل عمران.

---

(١) وقد جاء في الإنجيل الموجود الآن ما يؤيد هذا، أقرأ مثلاً عن عيسى – عليه السلام – أنه قال: (لم أرْسَل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) "إنجيل متى" الإصحاح: ١٥-٢٤.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران: ١١٠.

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران.

وهذه الحقيقة الكبيرة[١] هي التي دفعت الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – إلى مواصلة المسير، مبلغين دعوة الله، ومجاهدين في سبيلها، وماذا كان الإنسان يتصور لو أن هذه المهمة كانت مهمة الرسول لوحده ؟!!.

## رابعاً: صفاتهم عليهم الصلاة والسلام:

تحدث القرآن بإسهاب عن صفات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، وهو في كل حديثه لم يخرج عن منهجه المعروف، فهو لا يحدثنا إلا عما نحتاجه في وظيفتنا، ولنر هذا من خلال الصفات التالية:

### ١ - الأمانة والصدق في التبليغ:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... ﴾ الأعراف.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ... ﴾ النساء: ١٧٠.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ

---

(١) انظر، ما كتبه الأستاذ عبد الكريم زيدان تحت عنوان الأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله «أصول الدعوة» ص٣٠٨.

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن.

### ٢- الخلق الكريم :

فلقد وصفهم القرآن بأنهم من طراز فريد في الأخلاق، وربما يوجز في هذا، وربما يفصل، فمما أوجزه القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم.

لكن الذي يهمنا هنا التفصيل لمعان مهمة في الأخلاق، لا سيما تلك المتعلقة بوظيفة الرسل الأساسية، ولنأخذ هذه الأمثلة:

#### أ- التجرد لله تعالى في الدعوة :

وعدم النظر إلى ما في أيدي الناس، فلقد قال نوح لقومه: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الشعراء.

وقال هود لقومه: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ الشعراء.

وقال صالح لقومه: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الشعراء.

وقال لوط لقومه: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الشعراء.

وقال شعيب لقومه: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الشعراء.

وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [يوسف: ١٠٤].

#### ب- الصدق:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ مريم.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ مريم.

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ ... ﴾ يوسف.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ مريم.

#### ج- الأمانة:

قال نوح لقومه: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الشعراء.

وقال هود لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الشعراء.

وقال صالح لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الشعراء.

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الشعراء.

وقال شعيب لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الشعراء.

وعن موسى: ﴿ ...إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص.

وعن يوسف: ﴿ ...قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف.

**د - العفاف والطهر:**

فعن لوط: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأعراف.

وعن يوسف: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ يوسف: ٢٣، ﴿ ...وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ... ﴾ يوسف.

**هـ - الحلم والصبر:**

فعن إبراهيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥]، وعن أولي العزم: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وعن جملة من الرسل تحدث القرآن عنهم ثم عطف عليهم بقوله:

﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنبياء.

وعن الرسل كافة: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ ... ﴾ [الأنعام: ٣٤].

**و - اللين والتواضع:**

قال الله عن رسوله محمد ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٩ ].

وعن عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا

أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ – ٣١].

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم.

**ز - الشجاعة :**

ولنقرأ هذه الأمثلة: عن إبراهيم[1]: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الصافات.

وعن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء.

وعن محمد عليه وعلى من قبله الصلاة والسلام: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ... ﴾ الفتح، و﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

**٣- الفطانة والحكمة وقوة الحجة :**

**ونستطيع أن نجدها في ثلاثة نماذج من الآيات:**

أ – الإخبار عنهم بهذه الصفات صراحة ، مثل قوله – تعالى – عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ ... ﴾ [الأنعام: ٨٣] .

ومثل قوله تعالى عن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ ...وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ... ﴾ [البقرة: ٢٥١].

---

(١) يقول الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة تحت عنوان «درس في الشجاعة» : ((إن في حياة إبراهيم درس في الشجاعة والإقدام والاستماتة في سبيل المبدأ والعقيدة ، فإبراهيم يقف وجهاً لوجه أمام قومه الذين فشت فيهم عبادة الأصنام ، يسفه معتقداتهم ويدعوهم بالحجة والبرهان إلى ترك عبادتها..... لم يجد إبراهيم آذاناً صاغية لدعوته... فلم يثنه ذلك عن قصده.... بل شهر في وجوه قومه سلاحاً أمضى وأقوى ، سلاحاً يدمر معتقداتهم ، ويزلزل بنيان مقدساتهم ، إنه سلاح مقاومة الباطل باليد... إن نتيجة هذا العمل واضحة للعيان: إما موته المحقق ، وإما إقناع قومه)) مع الأنبياء في القرآن الكريم : ص ١٣٨ .

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص.

وعن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٥].

وعن محمد ﷺ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ الأعلى.

ب – عرض هذه الصفات من خلال الحوار والمجادلة، ولنأخذ هذه الأمثلة:

إبراهيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ... ﴾ البقرة: ٢٥٨.

يوسف: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ يوسف.

فانظر في المثال الأول لما أراد الطاغية أن يراوغ في قضية الإماتة والإحياء كيف ترك إبراهيم هذه المسألة وفاجأ الطاغية بسؤال لم يتوقعه فأراده باهتاً[١]، وتصور لو أننا افترضنا أن إبراهيم بقي يجادله في المسألة الأولى ماذا تكون النتيجة؟! ثم لاحظ أن سؤال إبراهيم الثاني لا يدع المجال حتى للمكابر، فتخيل لو أن إبراهيم قال له: من خلق الشمس؟ فإن المكابر قد يقول: أنا، ولكن إبراهيم طالبه بفعل جديد في الشمس؟ فماذا يقول المكابر ؟!..وفي المثال الثاني أنظر كيف استغل يوسف حاجة صاحبيه إلى علمه[٢]، فحينما سألاه عن رؤياهما كان يعلم

(١) أنظر: «مع الأنبياء في القرآن الكريم»: ص١١٩.

(٢) يقول سيد قطب رحمه الله: وينتهز يوسف هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة،

أنهما سيصغيان إليه، فاستغل هذا الظرف، فأخّر الجواب، وبدأ يسألهما عن التوحيد والشرك، ويبين لهما الحقيقة، ثم لما أكمل مهمته في تبليغ الدعوة شرع في الجواب!!.

ج- أن يعرضها القرآن من خلال بعض المواقف الذكية والمخارج البارعة ولنبق مع الجد الكريم والحفيد الكريم:

إبراهيم : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنبياء.

يوسف: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف.

وهذان المثالان لا يحتاجان إلى تعليق، ففي كل جملة التفاتة ذكية، وكيد بارع، وسياسة فطنة.

---

فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة... ويبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي شغل بالهما، فيطمئنهما ابتداء إلى إنه سيؤوّل لهم الرؤى... وبذلك يكسب ثقتهما منذ اللحظة الأولى، ويبدو في طريقة تناول يوسف للحديث لطف مدخله إلى النفوس، وكياسته وتنقله في الحديث في رفق لطيف، وهي سمة هذه الشخصية البارزة في القصة بطولها «في ظلال القرآن» : ٤/ ١٩٨٨».

وهـذه الصفات كلها واضحة المقصود، إنها تعنى باختصار أن الأنبياء – عليهم الصلاة والسـلام – هـم نمط خاص من البشر، لا يدانيهم أحـد في كل صفات الفضيلة، وعلى هذا فَهُمْ أهْلٌ لقيادة البشرية لتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة، غير أن الموازنة لا تكتمل بهذه الصفات، إذ إنّ النفس البشرية ليست قادرة دائماً على الثبات في الموقف الصحيح، دون تأرجح وتردد، أو إفراط وتفريط، أو غلو في الكره والحب، لقد جاءت هذه الصفات لتضع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في المكانة الرائدة المرموقة من أجل وحدة القيادة والتوجيه، لكن ماذا لو أن البشر تعدّوا بالأنبياء مقامهم الحقيقي، وذهبوا بهم بعيداً حتى يتجاوزوا بهم حدود المخلوق إلى مقام الخالق – تبارك وتعالى –، كما قالوا: عزيز ابن الله وعيسى ابن الله – تعالى الله عن قولهم –، ومن هنا كان ضرورياً أن يتحدث القرآن عن نوع آخر من الصفات، وهو الآتي:

### ٤- صفاتهم البشرية :

لقـد أكد القرآن هذه الصفات لحماية جانب التوحيد، فالخالق خالق، والمخلوق مخلوق، وإذا كانـت تلـك الصفات تدفع بالنفس الضعيفة أن تؤلِّه هؤلاء الصفوة فإن هذه الصفات تعـين على الثبات في الموقـف الصحيح، وتقي من الانزلاق، وهي مـع تلك تكمل الصورة الحقيقيـة لهـؤلاء الصفـوة، وهـذه قد لا نسـتطيع حصرها، إلا إننا نسـتطيع أن نتلمسـها في الأمثلة الآتية:

أ- التأكيد على أن هؤلاء الصفوة هم بشر من خلق الله، ولنقرأ:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴾ [إبراهيم: ١١].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ... ﴾ [فصلت: ٦].

﴿ ...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ب- التأكيد على أنهم عباد الله:

فعن نوح قال القرآن :

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ القمر.

وعن داود قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ ص.

وعن أيوب : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ... ﴾ ص: ٤١.

وعن عيسى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم: ٣٠].

وعن محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ... ﴾ [الإسراء: ١]، و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف: ١].

ج- إنهم لا يملكون من أمر الله شيئاً، ولا ينفعون ولا يضرون:-

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ [الأنعام: ٥٨].

﴿ ...قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾ [المائدة: ١٧].

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ الجن.

﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ... ﴾ [القصص: ٥٦].

د- ذكر عوارضهم البشرية، كالمرض، والجوع، والتعب، والأكل، والشرب، ولنقرأ عن آدم: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ طه.

وعن نوح: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ القمر.

وعن إبراهيم: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ الشعراء.

وعن لوط: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ هود.

وعن يعقوب: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣].

وعن أيوب: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ... ﴾ الأنبياء.

وعن موسى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ طه، ثم ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ طه.

وعن يونس: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الصافات.

وعن محمد ﷺ: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ الحجر.

إن هذه الأمثلة تبين أن هناك هدفاً من وراء عرض القرآن للطبيعة البشرية عند الرسل الكرام – عليهم الصلاة والسلام –.

هـ – ذكر الزلات وأخطاء وقع بها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –:

فقد سجل القرآن بعض الزلات التي وقع فيها الأنبياء، ولا شك ان هذا أمر مقصود، وأظهر ما فيه حماية جانب التوحيد، فالرب رب، والعبد عبد[1] ولنقرأ مثلاً:

عن آدم: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ طه.

وعن داود: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ ص.

وعن يونس: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ القلم.

و﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

---

(١) وقد ذكر أن من حِكَم تسجيل الزلات هذه تبيان صدق الأنبياء فيما يبلغونه، إذ لو لم يكونوا صادقين لما تلوا على الناس زلاتهم، ومنها أيضاً للتأسي، فالنبي الذي يلجأ إلى ربه عند الزلة يُعلّم أتباعه كيفية الرجوع والإنابة والاعتراف بالخطأ، أنظر: "أصول الدين الإسلامي" د.رشدي عليان و د. قحطان الدوري: ٢٥٤–٢٥٥.

وعن محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه وسلم: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ عبس، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ ﴾ [التحريم: ١].

لقد حاول العلماء أن يؤولوا هذه النصوص ليوفقوا بينها وبين مبدأ عصمة الأنبياء، ولكن القرآن سجلها دون ذكر مبرراتها، والسلف لم يفهموا منها ما يحتاج إلى تأويل أو تبرير، بدليل أنه لم يأت واحد منهم يسأل: يا رسول الله كيف أنت معصوم والقرآن يقول عنك: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ الفتح. ؟.

إن القرآن لم يجد هنا مشكلة تحتاج إلى علاج، فالأمر واضح بيّن: الله هو الذي أرسل هؤلاء الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فمهمتهم تبليغ الرسالة، والرسالة تعهد الله بإيصالها للناس سليمة كاملة: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ ﴾ الحاقة، فهذه الزلات لا علاقة لها بالرسالة، لا علاقة لها بوظيفتهم الأساسية، نعم إن التأسي بهم ثمرة الإيمان بهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولكن هذا الاقتداء لا يبقى على إطلاقه بعد تبيين الله تعالى للزلة والخطأ، فرسول الله ﷺ نقتدي به في كل شيء لكننا لا نعبس بوجه الأعمى، لأن الله لم يقر الرسول ﷺ على هذا التصرف، بل عاتبه عليه، والأصل فيما لم يعاتب عليه الرسول أن نقتدي به، فليست هنا مشكلة حقيقية، لا سيما بعد أن بين الله صفاتهم الأولى، التي تثبت مع هذه الزلات أنهم الصفوة، وأنهم وحدهم المؤهلون لقيادة البشرية، وأما هذه الزلات فحينما لا تؤثر على وظيفتهم ولا على مكانتهم القيادية ولا تنفر الناس عنهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالنبي لا يمكن أن يرتكب ما ينفر الناس عنه، كالكذب والخيانة، والفواحش، فإذا سَلِمَ النبي من كل هذا فهذه الزلات الطفيفة لا تحتاج بعد إلى تأويل وتبرير، مع أن الذي يريد أن يبرر ويؤول فإن له متسعاً، لكن ما الحاجة إليه؟! والله أعلم.

### خامساً: أسماؤهم في القرآن الكريم:

لم يذكر لنا القرآن أسماء الأنبياء والمرسلين جميعاً، بل صرّح بالعكس، فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

والذين قصَّ القرآن علينا أخبارهم منهم من صرَّح بنبوتهم أو رسالتهم ومنهم من لم يصرح، وإنما استفيد من إشارات ودلائل أخرى وهي محل نزاع بين العلماء، فلنأخذ من صرَّح القرآن بنبوتهم أو رسالاتهم:-

١) فعن إدريس – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ مريم.

٢) وعن نوح – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ نوح.

٣) وعن هود – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الشعراء.

٤) وعن صالح – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الشعراء.

٥) وعن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – قال القرآن: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ مريم.

٦) وعن لوط – عليه الصلاة والسلام – قال القرآن: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الشعراء.

٧) وعن إسماعيل – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ مريم.

٨) وعن إسحاق – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الصافات.

٩) وعن يعقوب – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ مريم.

١٠) وعن يوسف – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾ غافر.

١١) وعن شعيب – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الشعراء.

١٢) وعن أيوب – عليه الصلاة والسلام – يقول القرآن: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ

إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ ﴾ النساء.

١٣) وعن موسى – عليه الصلاة والسلام- يقول القرآن: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ غافر.

١٤) وعن هارون- عليه الصلاة والسلام- يقول القرآن: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ... ﴾ يونس.

١٥) وعن داود- عليه الصلاة والسلام- يقول القرآن: ﴿ ...وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ ﴾ الإسراء.

١٦) وعن سليمان- عليه الصلاة والسلام- يقول القرآن: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ ... ﴾ النساء.

١٧) وعن إلياس – الصلاة والسلام- يقول القرآن: ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الصافات.

١٨) وعن يونس الصلاة و السلام- يقول القرآن: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الصافات.

١٩) وعن يحيى -عليه الصلاة و السلام- يقول القرآن: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران.

٢٠) وعن عيسى -عليه الصلاة و السلام- يقول القرآن: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ﴾ [الصف: ٦].

٢١) وعن سيدنا محمد--عليه الصلاة و السلام- يقول القرآن: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ... ﴾ الفتح وبه ختمت النبوة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾ الأحزاب.

بقيت عندنا ثلاث مسائل متعلقة بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

## المسألة الأولى :

مسألة «الأسباط» الذين أكد القرآن على على نبوتهم؛ حيث قال: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ... ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وأكد في غير هذا الموضع، ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ .... ﴾ [آل عمران : ٨٤]، لكن القرآن لم يبين من هم الأسباط[1] وكم عددهم؟ ولا شك إن هناك حكمة من هذا، إذ لو علم الله أن في إخبارهم نفعاً لقصها علينا، لكن الله أعلم وأحكم، وقد فهم سلفنا هذا فلم يسألوا عنه، ولنا بهم أسوة حسنة.

## المسألة الثانية :

أربع أنبياء ذكرهم القرآن ولم يصرح بنبوتهم أو رسالتهم، وهم آدم و ذو الكفل و اليسع و زكريا، أما آدم فهو نبي وإن لم يصرّح القرآن بذلك بما يأتي :

أ- قوله ﷺ عن آدم – عليه السلام: (وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلا تَحْتَ لِوَائِي)[2].

ب- قوله تعالى ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة.

جـ- قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ ﴾ طه.

وأما ذو الكفل فقد اختلف فيه العلماء، ولم يأت دليل قاطع على إثبات نبوته، إلا أن ذكره مع الأنبياء في قوله تعالى ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنبياء، قرينة قوية على إنه منهم ، وهذا هو الذي رجحه ابن كثير رحمه الله، إلا أنه نقل عن مجاهد قوله: "رجل صالح غير نبي[3]"، والله أعلم.

وأما اليسع فلم أعثر على ما يثبت كونه نبياً أو رسولاً إلا ما جاء من ذكره مع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام في قولهِ تعالى: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا

---

(١) يرى كثير من المفسرين أن الأسباط اثنا عشر رجلاً أولاد يعقوب، يوسف وإخوته . انظر تفسير الطبري : ١/ ٥٦٨ ، وقال البخاري والخليل بن احمد الزمخشري : ((إنّ المقصود بهم : قبائل بني إسرائيل وهم أحفاد يعقوب وأولادهم ، وعلى هذا فهؤلاء ليسو بأنبياء ، ويكون معنى الآية عند هؤلاء « شعوب بني إسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم)) « تفسير ابن كثير: ١/ ١٧٨ ، والكشاف:١/ ١٩٥ ، وهو رأي النسفي أيضا . انظر : تفسير :١/ ٧٧ .

(٢) الجامع الصحيح للترمذي : ٥/ ٥٤٨ ، رقم الحديث ٣٦١٥ ، وقال عنه : « حسن صحيح « .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٧ .

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام، ولا ريب أن هذه قرينة قوية أنه منهم، والله اعلم .

وأما زكريا فلم أجد في القرآن ما يصرح بنبوته، إلا أن ما جاء فيه من القرائن القوية الدالة على نبوته يكفي، وهذه هي: ذكره مع قائمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ ...وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنعام، لاسيما أن القرآن قال بعد ذلك ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام:٨٩].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾ مريم، والظاهر أن هذا وحي، والله اعلم.

## المسألة الثالثة:

أسماء ذكرت في القرآن الكريم في غير قائمة ألأنبياء، وإنما ذكر كل واحد لوحده ، ولم يشير القرآن إلى نوبتهم ، ومنهم: لقمان، وذو القرنين، والعبد الصالح صاحب موسى –عليه السلام –، ومريم – عليها السلام –، وقد اختلف العلماء فيهم، ولسنا هنا بصدد المقارنة والترجيح ولكن سنذكر فقط جانبا من صفاتهم في القرآن، لاسيما تلك التي أثارت الجدل:

١- لقمان: قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ... ﴾ لقمان، ثم يعرض القرآن بعضاً من هذه الحكمة ،وفيها توحيد، وآداب ، وصلاة ، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وهذه دلائل على أنه يملك هديا وشريعة، وهذه الشريعة من الله ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢ ]، ولكن ما ورد عن السلف لا يرجح كونه نبيّاً، وقد لخص لنا ابن كثير – رحمه الله – قول السلف فيه بقولهِ: " اختلف السلف في لقمان هل كان نبيا او عبدا صالحا من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني، ثم قال: "ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا"[1].

٢- ذو القرنين: ورد ذكره في أواخر الكهف و يقول القرآن: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف، وفي هذا النص لا يوجد أي إيماء إلى أنه نبي، لكن قول الله بعد هذا:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٧.

﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الكهف، مشعر بنبوته، إذ قول الله مباشرة لواحد من خلقه – سيما القائد والموجه – الظاهر في الوحي، والله أعلم.

٣- العبد الصالح: يقول القرآن عنه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾ [ الكهف: ٦٥ ] ، ثم يذكر القرآن عمل الرجل الصالح في السفينة وقتله للغلام وبنائه للجدار، ثم يعقب: ﴿ ...وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ... ﴾ [ الكهف: ٨٢ ]، و إن هذه أماره قوية على أنه نبي، لا سيما قتله للغلام، إذ لا يعقل أن يجوز إلا بوحي، والله أعلم .

٤- مريم: يقول القرآن: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ ﴾ [مريم: ١٧ ]، ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥ ]، ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ [آل عمران: ٤٢ ] ، فقول الملائكة لها مع ذكر اصطفاء الله لها قرائن على نبوتها، إلا أن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩]، يمنع من كونها نبيّة، وإرسال الروح إليها لم يكن بالوحي، وإنما لقضية خاصة لا علاقة لها بالشرع، وعلى هذا الجمهور، والله أعلم.

### سادسا: دلائل صدقهم في أدعائهم النبوة:

الوظيفة التي كلف الله بها المرسلين وظيفة خطيرة كبيرة، ولذلك فهي تحتاج إلى أدلة إثبات واضحة قوية: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾ [النساء: ١٦٥ ] ، وليتميز النبي الصادق من المتنبيء الكاذب، ولذلك أيد الله رسله بما لا يقدر عليه غيرهم، وهذا هو الذي يسمى بالمعجزات، نعم هناك دلائل كثيرة على صدق ألأنبياء، فسيرتهم وأخلاقهم والمنهج الذي جاؤوا به كل هذا أدلة واضحة على صدقهم، لكن الله الحكم الحق أراد أن لا يدع مساغاً لمعاند مكابر، ولذا أيد الله أنبيائه بمعجزات يعجز عن مثيلها كل إنسان، وهذه المعجزات تقترن بالتحدي الصارخ الذي يستفز الخصم لإظهار كامل ما عنده من طاقات، ومع هذا لم يقدر احد على مجاراة المعجزات، ولا نريد هنا أن نفصل المعجزات التي وردت في القرآن الكريم، لكن سنأخذ أمثلة منها ، تكشف لنا منهج القرآن في عرضه للمعجزات، وسنأخذ هذه ألأمثلة من خلال النوعين ألآتيين:

النوع الأول: معجزات جاء بها الأنبياء لكنها لم تأت لإثبات النبوة، مع أنها دليل قاطع على النبوة، وهذه بعض الأمثلة:

أ- ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٣٧-٤٠].

فالمعجزة هنا أنّ نوحاً علم مسبقا بالطوفان، وباشر بصناعة السفينة ، والناس يسخرون منه، ولكنهم فوجئوا بأمر الله والوعد الحق، فهذه معجزة تصلح دليلاً قوياً على صدق نوح – عليه السلام –، ولكن نوحاً ما جاء بهذا للاستدلال أو للتحدي، وإنما لإهلاك قوم علم الله أنهم لن يؤمنوا.

ب- ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٢-٤]، وهذه كتلك؛ معجزة ليس فيها معنى التحدي، ولا جاءت لتصديق إبراهيم عليه السلام في دعواه.

جـ- ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الروم: ٢-٤]، وهذا الإخبار بالغيب لا شك انه معجزة لنبينا محمد ﷺ لكنه لم يأت لإثبات نبوته عليه الصلاة والسلام[1].

النوع الثاني: معجزات سبقها أو قارنها التحدي، وجاءت أصلاً لإثبات صدق النبي، ولنقرأ هذه الأمثلة:

أ- ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ

---

(١) وهذا واضح من سبب النزول ، انظر هامش تفسير الطبري ٢١/ ١٦ ، وعلى هذا نفهم أن اشتراط التحدي في المعجزة لا دليل عليه ، إلا إذا قلنا : أن هذه الأمثلة ليست معجزات ، ولا قائل به ، او نقول : أن التحدي قائم ضمنا ، ولا بأس بهذا ولكنه تكلف – والله اعلم.

سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٤-١٢٢].

ب- ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

و﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

اخترنا هذين المثالين لأنهما يمثلان هذا النوع أبلغ تمثيل، فقد اجتمع فيهما ما لم يجتمع في غيرهما، ولنر الملاحظات التالية:

١- كلتاهما جاءتا لإزالة الريب وإثبات الصدق: ﴿ ...لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ ... ﴾ [الأعراف:١٠٥]، ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ ... ﴾ [البقرة:٢٣].

٢- كلتاهما اقترنتا بالتحدي: ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ ... ﴾ [الأعراف:١١٦-١١٧]، ولقد جاء هذا التحدي في نص أخر أكثر وضوحا ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ ... ﴾ [يونس:٨٠-٨١]، وأما الثانية: ﴿ ...فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٣].

٣- إن هذا التحدي قابله الكافرون بالجدية والعزم على الغلبة، ففرعون والسحرة قالوا: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ [طه: ٦٤]، وقريش احتارت وتخبطت: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر:١٨-٢٥]، ومع هذه الجدية فشل حزب الشيطان.

٤ - أنهم كانوا أصحاب هذا الميدان وفرسانه، فالسحر الفرعوني والبلاغة القريشية لا مثيل لهما، وقد وصف القرآن مقدرة السحرة بقوله: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[الأعراف: ١١٦]، وأما بلاغة قريش فهي أعرف من أن تُعرَّف.

٥ - إن الموانع قد أزيلت، فهم أصحاب القوة والسلطان والنفوذ، فالذي قال: ﴿ ...أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات:٢٤]، ما كان يخشى من موسى، ومن قال: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾[المدثر:٢٤-٢٥]، ما كان يخشى من محمد ﷺ.

٦- إن عنصر الزمن قد أُضيف إلى الإعجاز ليعطيه تأكيداً أكبر فالأنبياء ما كانوا مستعجلين في انتظار ألاستجابة للتحدي، أما موسى -عليه السلام- فحينما ألقى عصاه أول مرة ليثبت صدقهُ قال الملأ: ﴿ ...قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾[الأعراف:١١-١١٢]، ولم يعترض موسى -عليه السلام- على هذا الإرجاء، ومعنى هذا أنه أراد أن يستفرغوا على مهل كامل طاقتهم، ويتأكدوا بأنفسهم أنهم لا طاقة لهم على مجاراة قدرة الله، وأما محمد ﷺ فعنصر الزمن مفتوح إلا أن تقوم الساعة، ولم يقدر احد أن يواجه أو يجابه.

وقد قال: إنّ معجزة موسى ظاهرة واضحة، فما الذي أعجز في العرب في القرآن الكريم؟! سنحاول أن نجيب على هذا السؤال في المبحث الآتي "الوحي" إن شاء الله .

## سابعا : أخبارهم :

ليس القرآن كتاب قصص وتاريخ ، بل هو عقيدة وشريعة ودستور حياة، لكن الذي يقلب صفحات القرآن الكريم يرى أنه منح القصص لاسيما قصص الأنبياء أهميه كبيرة، حتى لتكاد تجزم أن القصص قد أخذت الحظ الأوفر من الآيات، فما السر في ذلك؟ لنر أولاً منهج القرآن الكريم في القصص هذه: قصص الأنبياء، ومن خلال المنهج ستتبين الحكمة والغاية، وربما نستطيع أن نرسم معالم المنهج القرآني في قصص الأنبياء بالنقاط التالية:

١ - لم يتحدث القرآن عن حياة الأنبياء العامة من حيث الولادة والنمو والسكن، والعيش وعدد أفراد الأسرة، أو حالتهم المادية، أو الاجتماعية، ولا مناسبات الفرح، أو الحزن، والعادات والتقاليد السائدة، بل ولن يذكر لنا شيئا عن وفياتهم وتواريخها، ولا نحو هذا إلا بحدود ضيقة جداً، ولأسباب خاصة، فمثلا يتحدث القرآن عن آدم وأكله

مـن الشـجرة، وقطعـاً لم يكن المقصـود هـو الأكل، وطريقـة الأكل، بدليل أنـه حينما أنزل إلى الأرض لم يخبرنـا القـرآن عـن أكله ، بل الشـجرة كانـت هنا محور المعركة بين الإنسـان والشيطان، وتحدث عن مرض أيوب، وما كان المقصود الإخبار المجرد، وإنما التأسي بصبر الأنبياء في كل محنه ومصيبة، مما هو واضح من سـياق الآيات، وتحدث عن يوسـف وإلقائه في الجبِّ، ومعاناته مع امرأة العزيز وسجنه، ثم التمكين له في الأرض، ولا ريب أن المسلم في طريقه الطويل يحتاج إلى كل هذه الدروس، ويحتاج إلى الأمل الواسـع، فالطفل الملقى في الجب والذي ظن الناس هلاكه يصبح عزيز مصر!! ويأتي الحديث عن مريم وابنها لإظهار قـدرة الله وعنايتـه بعبادة الصالحين، وهكذا، فلا يوجد في القرآن الكريم ذكر لتاريخ هؤلاء الصفوة – التاريخ البشري – إلا وله غاية عملية ينتفع من ذكرها المسـلم في مهمته الكبيرة على هذه الأرض(١).

مـع إن غاية خلق الإنسـان هـي العبـادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريـات:٥٦]، إلا أنّ القـرآن لم يفصل لنا عبادة الأنبياء – عليهم السـلام- لا صلاتهم، ولا صيامهـم، ولا ذكرهـم، ولا نحـو هذا إلا في حـدود ضيقة ولغاية خاصـة أيضاً، فمثلاً غالـب مـا يرد من ذكرهم ومناجاتهم هو دعائهم بحفظ الرسـالة، وتبليغ الدعوة، أو هلاك الظالمين الواقفين بطريقها، وخذ هذين المثالين:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٨].

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

وقد يقول قائل: إن القرآن لم يكثر من ذكر عبادات الأنبياء –عليهم الصلاة والسـلام

---

(١) من الرائع جدا ما كتبه سيد قطب في مقدمته على سورة يوسف ،حيث بين المنهج القرآني في القصة تبييناً مفصلاً، ومما يناسـبنا هنا قوله: « وتبقى وراء ذلك كل عبرة وقيمتها في مجال الحركة الإسـلامية، وإيحاءاتها المتوافية مع حاجات الحركة في بعض مراحلها، ومع حاجاتها الثابتة التي لا تتعلق بمرحلة خاصة منها، إلى جانب الحقائق الكبرى التي تتقرر من سياق القصة» (في ظلال القرآن: ٤/ ١٩٦٣ ).

- لأننا في العبادات لا نقتدي بهم وإنما لنا عباداتنا الخاصة وشريعتنا الخاصة، والصحيح انه لو كان الأمر كذلك لقص علينا طريقة رسـول الله محمد ﷺ في العبادة، ولكن القرآن لم يفصـل في هـذا أيضاً، وكأنه يريد إن يقول: إنّ وظيفة القرآن الأولى هي إقناع الإنسـان بهذه الطريـق، ونصب المعالم الثابتة عليها لكـي لا ينحرف، ومده بكل ما يحتاجه للصبر والثبات والمواصلـة، وبعد هذا فقد يكفي قوله تعالى للسـائلين: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ... ﴾ [الأحزاب: ٢١]، والله أعلم.

٣- المعاني الرئيسـية التي أكد القرآن هي تلك المتعلقة بوظيفة رسـل الله الرئيسـية، فلقد رعاهـا القرآن أيما رعاية، وفصل القول فيها أيما تفصيل، حتى لا يكاد يخطر على بالك حالة من الممكن إن يواجهها داعية ما إلا والقرآن يحدثك عن نبي قد واجهها قبلك، وضرب لك فيها المثل والعبرة، ولنلخص القول في هذا على النحو الأتي:

أ- طريقـة تبليغ الدعـوة : تحدث القرآن بالتفصيل على طـرق الأنبياء في تبليغ دعوتهم، وكيف كانوا جادّين في الأمر، ولنأخذ بعض الأمثلة:

المثـال الأول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ ﴾ [نـوح:٥-٦].

المثـال الثـاني: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ ﴾ [الأنبيـاء: ٥١-٥٨].

المثـال الثالث: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ

ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ يوسف.

المثال الرابع: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ طه، فلماذا اختار يوم الزينة ووقت الضحى؟! ولماذا أراد إن يحشر الناس؟!.

إن هذه الأمثلة لا تحتاج إلى تعليق، فهي جليّة واضحة في أن الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام – ما تركوا مجالا أو منفذ يستطيعون أن يدلوا منه لتبليغ دعوتهم إلا دخلوه.

ب- أجناس المدعوين: فصّل القرآن أجناس المدعوين الذين اتصل بهم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فلا تكاد تجد طبقة من الناس إلا والقرآن يقدم لك نموذج عن اتصال الأنبياء بهم، ولنقرأ هذه النماذج:

**النموذج الأول: الملوك:**

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ... ﴾ البقرة، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ... ﴾ يونس.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النمل.

ثم كتب إليها سليمان كتابه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل.

**النموذج الثاني: الأغنياء المترفون:**

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ

وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ الشعراء. ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ الأعراف.

**النموذج الثالث: الفقراء والمستضعفون:**

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ هود. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ القصص.

**النموذج الرابع: المطففون:**

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ هود.

**النموذج الخامس: الشاذّون:**

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأعراف: ٨٠ - ٨٢.

**النموذج السادس: المسجونون:**

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

**النموذج السابع: الأقربون:**

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾ [مريم: ٤١ – ٤٥].

جـ- نقطة البداية في الدعوة: بين القرآن نقطة البداية في دعوة الرسل –عليهم الصلاة والسلام– ولنلاحظ النقطتين الآتيتين:

الأولى: إنّ القرآن سجّل في أغلب قصص الأنبياء أنهم بدؤوا بالدعوة إلى توحيد الله، والتصديق بالوحي، وطاعة الرسول، وهي كلها تمثل نقطة واحدة هي بداية السير على منهج الله وشرعه، ولنقرأ هذه الأمثلة:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾ هود.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾ هود: ٥٠،

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾ [هود: ٦١].

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾ [هود: ٨٤].

الثانية: إن القرآن قد يسجل دعوة بعض الأنبياء في البداية لأمور فرعية لا تعتبر من أصول الإيمان والعقيدة، وذلك مثل:

﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ الأعراف.

﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾ يوسف.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ ﴾ [هود: ٨٤]

﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١ ﴾ [آل عمران: ٥٠ – ٥١].

فهؤلاء الأنبياء تحدثوا مع قومهم بقضايا ليست من أصول الدين، وقبل إسلامهم،

مع إن القرآن يقول: ﴿ ...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ... ﴾ [الزمر: ٦٥ ]، بمعنى أن هذه الفرعيات لو استجابوا لها فأنها لا تقبل منهم، فلماذا يتعب الأنبياء أنفسهم فيها؟! بل القرآن نفسه في العهد المكي تحدث مع قريش بمثل هذا:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ التكوير.

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ البلد: ١١ - ١٦ .

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المطففين: ١ - ٣].

﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨].

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

هذه كلها نزلت في مكة، والخطاب فيها موجه للمشركين، فلماذا؟!

إن هذا السؤال لابد إن نوجهه لأنفسنا ونحن نقرأ لبعض الكتّاب الإسلاميين أنّ رسول الله ﷺ بقي في مكة ثلاث عشر سنة وليس له شغل إلا الدعوة إلى التوحيد[1].

والصحيح – والله أعلم – إن احترام الإنسان للإسلام يقترن عنده مع أولويات الدين نفسه، لأنه لا يمكن أن يحقق الإسلام غايته في مجتمع مسخ، يسوده الشذوذ، والأنانية، والظلم، ولهذا فمحاربة الإسلام للظلم بكل أنواعه السياسية والاقتصادية وغيرها مطلوب مع دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد، فإنه في الحرية والعدالة يستطيع الإنسان أن يفكر وأن يحاور، وأن يقتنع بالمنهج الذي يراه، وعلى هذا فالمطالبة بالحرية لهذا الإنسان لا ينبغي إن تؤجل عن دعوته إلى لا اله إلا الله محمد رسول الله، هذا أولا، وثانياً: فإن الحديث عن بعض مبادئ الإسلام وأخلاقه من شأنه أن يقود إلى الرغبة في التعرف على عقيدته وعلى

---

(١) يقول الشيخ عبد الله عزام– رحمه الله – : "لقد كانت العقيدة هي الموضوع الوحيد الذي عالجته السور المكية" (العقيدة وأثرها في بناء الجيل ص١٠ ) ، ويكاد يكون كلامه هذا تكرار لكلام سيد قطب رحمه الله من قبل حيث قال : "القرآن المكي .... الذي ضل يتنزل على رسول الله ﷺ ثلاث عشر عاما كاملا ، يحدثه فيها عن قضية واحدة قضية واحدة لا تتغير، لقد كان يعالج القضية الأولى والقضية الكبرى ، والقضية السياسية في هذا الدين الجديد، قضية العقيدة" (في ظلال القرآن :٢/ ١٠٠٤ ).

أصوله، فالمرأة وهي في المطبخ وتسمع محمداً ﷺ يقرأ في صلاته: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ التكوير، سيحركها هذا إلى إن تترك المطبخ قليلا لتصغي إليه، وهكذا قل في العبيد والأيتام والمحرومين، والله أعلم .

د- المعاناة: تحدث القرآن بالتفصيل عن المعانات الكبيرة التي عاشها الرسل الكرام أثناء تبليغهم لدعوة الله، وهذه أمثله مما سطره القرآن:

المثال الأول: القتل أو محاولة القتل:

﴿...فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩].

﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ...﴾[البقرة: ٦١]، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٦٩].

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ...﴾ [آل عمران: ٥٤ - ٥٥]، وقد فسر الله هذا المكر بقوله: ﴿...وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ...﴾[النساء: ١٥٧].

المثال الثاني: التهديد:

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧].

﴿...وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يوسف.

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ هود.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ...﴾ غافر.

المثال الثالث: الاستهزاء والشتم والاتهام:

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ القمر.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ...﴾ هود.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾ يونس.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ غافر.

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الذاريات.

المثال الرابع: العناد والمكابرة:

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود: ٣٢].

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح: ٧].

﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ النحل.

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال.

هـ- الثبات والمصير: لقد سجل القرآن مواجهة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لهذه المصاعب والمحن بالثبات واليقين، هذا الثبات الذي جعل المعركة تطول بين الحق والباطل، لأن الحرب بينهما حرب وجود لا يمكن للحق أن يتنازل عن شيء أبداً، ولذلك اعتنى القرآن بسرد نتائج هذه المعارك المريرة التي قادها رسل الله –عليهم الصلاة والسلام – وهذه النتائج نستطيع أن نختار منها الأمثلة الآتية:

النتيجة الأولى: هلاك الكافرين والمكذبين ونجاة الرسل ومن معهم:

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ القمر.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٤ – ٢٥]، ولقد سلَّم الله رسولهم هوداً، فقال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ الأعراف.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ هود. ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ النمل.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ هود.

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الشعراء.

النتيجة الثانية: الاستجابة والدخول في دين الله، وقد تكون هذه الاستجابة قليلة مقتصرة على عدد قليل من الناس، وقد يكون العكس، فمن أمثلة الحالة الأولى:

قال القرآن عن نوح –عليه السلام –: ﴿ ...وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ هود.

وقال عن هود – عليه السلام –: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ... ﴾ هود، والدليل على أنهم قلة أن الله أعقب هذا القول بقوله ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ... ﴾ هود، وهود ما أرسل إلا إلى عاد.

وقال عن صالح –عليه السلام –: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأعراف. وهذه كتلك فقد قال الله عن قوم صالح: ﴿ ...أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ ﴾ هود.

وعن لوط – عليه السلام: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الذاريات.

وعن شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ... ﴾ الأعراف.

ومن أمثلة الحالة الثانية:

يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ ...إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ... ﴾ يونس، ﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ ﴾ يونس.

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ... ﴾ الأعراف.

محمد ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ النصر: ١ - ٣.

النتيجة الثالثة: التمكين للرسل وأتباعهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ... ﴾ يوسف.

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ ص.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النمل.

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ... ﴾ الأنفال.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ الفتح.

و- بين الرسل وأتباعهم: يقص علينا القرآن الكريم مسيرة الرسل الكرام مع أتباعهم، وفي هذا تكتمل الصورة، وتتضح معالم الخارطة المتكاملة لوظيفتهم - عليهم الصلاة والسلام -، فتبليغ الدعوة أولاً، ثم تشكيل الصف المسلم الذي يستطيع أن يصارع الكفر على هذه الأرض، وأن يخلف الرسل في هذه المسيرة الطويلة، غير أن هذا الصف ليس ملائكياً، إنما هو بشراً. ولذا سجل القرآن بأمانة بالغة المواقف الصحيحة المباركة لذلك الصف، وسجل أيضاً المواقف الخاطئة، وسنحاول سريعاً - إن شاء الله - التمثيل لكل هذا باختصار شديد، ولنتمتع أولاً بأمثله من المواقف الصحيحة:

**المثال الأول: سحرة فرعون:** ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ طه.

**المثال الثاني: مؤمن آل فرعون:** ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ غافر.

**المثال الثالث: جيش طالوت:** ﴿ ...قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ... ﴾ البقرة.

وطالوت هو واحد من أتباع الأنبياء: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ البقرة.

**المثال الرابع: صحابة رسول الله محمد ﷺ :** ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الفتح: ٢٩.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨ – ٩].

**وأما المواقف الخاطئة فنختار منا الأمثلة الآتية:**

المثال الأول: بنو إسرائيل مع موسى وهارون –عليهما السلام– ، فقد سجل القرآن عن هؤلاء القوم الكم الهائل من الأخطاء والجرائم التي قد تصل إلى الردة وقتل الأنبياء ولنقرأ:

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المائدة.

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف.

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ المائدة.

المثال الثاني: من أصحاب رسول الله ﷺ:

رماة أُحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ... ﴾ آل عمران.

المنهزمون يوم حنين: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة.

المتخلفون يوم العسرة: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١١٨].

ز- إن هنالك من الرسل الكرام من اهتم القرآن بقصته أكثر من غيره؛ وأبرز مثل على هذا موسى -عليه السلام- ولنلاحظ معالم هذا الاهتمام:

لقد تكرر اسم «موسى» في القرآن الكريم (١٣٦) مرة، في حين تكرر اسم «نوح» (٢٣) مرة، واسم «إبراهيم» (٦٩) مرة، واسم «شعيب» (١١) مرة، و «يوسف» (٢٧) مرة، و «عيسى» (٢٥) مرة.

إن قصة موسى -عليه السلام- تكررت في القرآن بشكل ملفت للنظر، فقد تكررت قصته في ما لا يقل عن (٤٠) سورة، لاسيما أن السور الطوال التي فصلت قصته تفصيلاً دقيقاً، مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ثم يونس وهود ثم الكهف وطه والأنبياء والمؤمنون والشعراء والقصص، وغير هذا.

ومن مظاهر الاهتمام الكبير تفصيل الحديث عن الأدوار المختلفة التي لعبتها هذه الشخصية الخطيرة في التاريخ فالقرآن تحدث عنه حملاً، ورضيعاً، وغريباً، ثم زوجاً، ثم رسولاً يجابه فرعون والسحرة والملأ ،ثم قائد كبير لأعقد شعب وفي أعقد ظرف ويكفي أن

نعلم أنّ القرآن كرر اسم فرعون لعلاقته بموسى أكثر من تكراره لاسم أي نبي غير موسى، فلقد تكرر اسم «فرعون» (٧٤) مرة .

إن المعجزات التي أيّد الله بها موسى قد تكون أكثر من مجموع ما ذكره القرآن للأنبياء من المعجزات، فيده بيضاء، وعصاه التي أبطلت السحر وفلقت البحر، وتجنيد الطوفان والجراد والقمل والضفادع [1] وغيرها له وفي معركته الكبيرة، كل هذا يثبت أن دور موسى -عليه السلام- يمتاز بخصوصية قد لا يشاركه فيها بقية الأنبياء السابقين.

تأييد الله له بوزير وأخ يشد به عضده: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ... ﴾ [القصص: ٣٥]، هذا الأخ الذي منحه الله الرسالة مع موسى -عليهما السلام- وقد تكرر اسمه «هارون» في القرآن (١٩) مرة ، في حين لم يذكر القرآن عن رسول أيّده الله برسول آخر وكلاهما يحملان رسالة واحدة غير موسى -عليه السلام-.

إنّ هذه النقاط وغيرها تجعلنا نتساءل: لماذا كل هذا الاهتمام ؟!

إني لا أريد هنا أن أفصّل في الجواب، ولكني أحاول أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى هذه النقاط شاحذاً همته للنظر فيها والتفكر فيما هو أبعد منها:

النقطة الأولى: إن موسى عليه السلام جابه الذي قال ﴿ ...مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ... ﴾ [غافر: ٢٩]، و﴿ ...مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ... ﴾ [القصص: ٣٨]، فهل كان بعلم الله أن الأمة الإسلامية ستواجه فرعون وفرعون وفرعون مرات ومرات؟ دون ريب، فإن الشخصية الفرعونية مكرره بكل جوانبها: الكبر، والقوة، والمال، الملأ، والعملاء، والأجراء، ثم الظلم، والدم، والتألّه!!.

النقطة الثانية: إن الشعب الذي قاده موسى وهارون، بعد أن خلصاه من وطأة فرعون- شعب كبير، ومتعدد الطاقات، وقابل للانشقاق ثمّ الضياع ثم للتماسك ثم التمكين، إنّ هذه الصفات كلها دون ريب هي صفات الأمة التي يريد الإسلام أن يخلصها من وطأة الفراعنة ، ثم المسير بها إلى التماسك والتمكين، إنهم البدلاء الشرعيون عن شعب موسى في حمل الأمانة، وإعلان خلافة الله في الأرض، والبديل أو الوريث لا غنىً له عن تجارب سلفه وتاريخه.

---

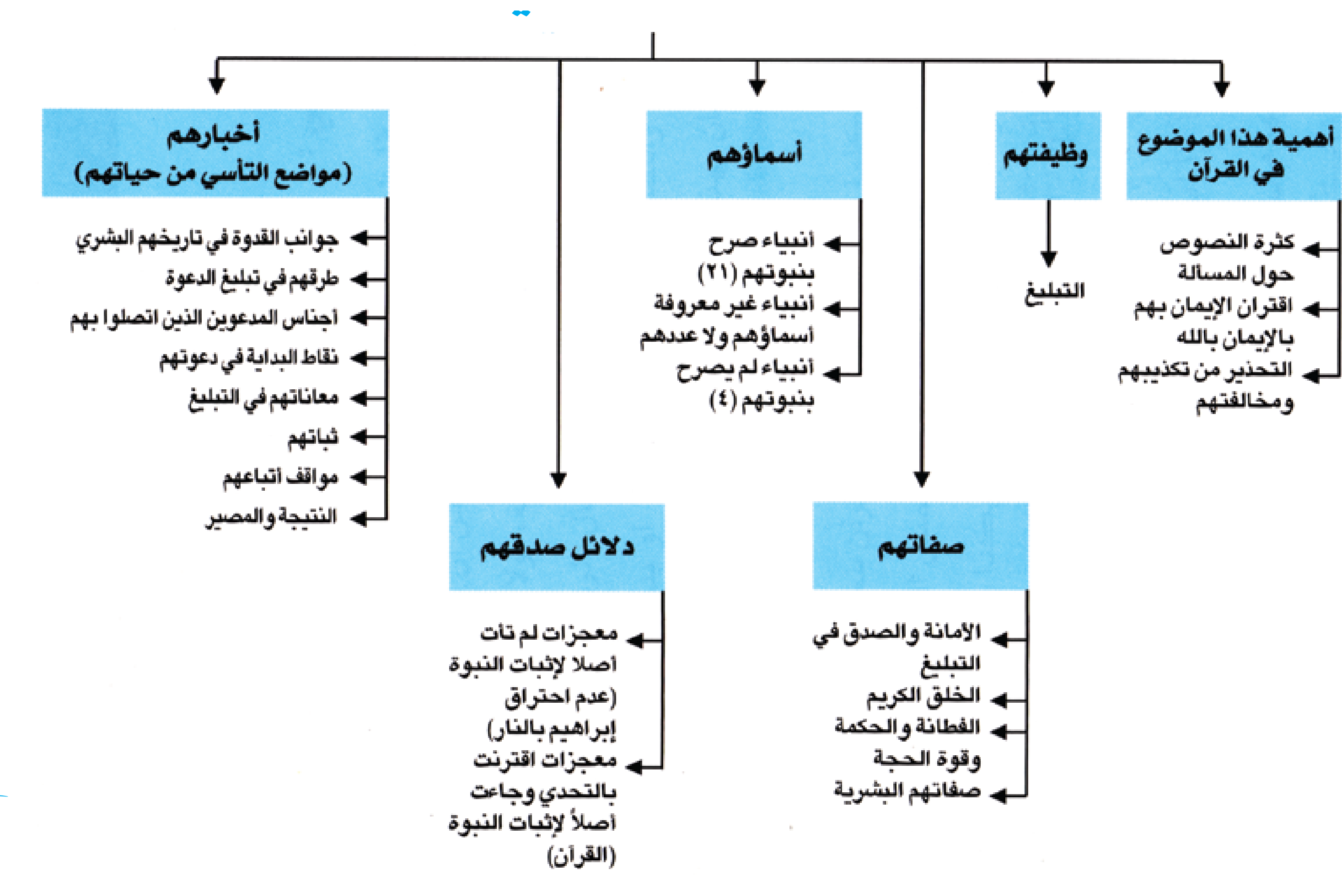
(١) يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٣٣].

النقطة الثالثة: هل كان بعلم الله أن العدو الأول الذي سيبقى يواجه الأمة القرآنية بحقد وعناد هم اليهود أتباع موسى عليه السلام الذين غيروا وبدلوا؟! وأنَّ الله أراد لنا أن نعرف خبايا هؤلاء وطريقة تفكيرهم لكي لا نقع في البئر مائة مرة، ولا نلدغ من جحر واحد مرتين، الواقع يشهد بهذا ولكن يا ليت قومي يعلمون .

وفي ختام هذا المبحث يتبين أن القرآن قد قدم لنا نماذج متكاملة للتأسي بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في مختلف الأحوال والظروف: من النبي الذي يواجه حسد الأخوة (يوسف)، أو عقوق الابن والزوجة (نوح)، إلى النبي الذي يواجه طغيان فرعون بدولته وسلطانه (موسى)، ومن النبي الفقير (موسى ) ، أو المريض (أيوب) ، أو السجين (يوسف)، أو الوحيد (إبراهيم)، إلى النبي الملك (داود)، و(سليمان) .

إن القرآن يضع أمام الدعاة هذه النماذج وكأنه يقول لكل داعية: هؤلاء هم قدوتك في كل أحوالك وفي كل ما يواجهك فقيراً أو غنياً ، كن سجيناً أو ملكاً، كن أميراً أو مأموراً بالسلم أو بالحرب، بين أهلك وإخوانك أو مهاجراً ومغترباً، فلك في كل هذه الاحتمالات النموذج المناسب من قصص الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-،هذا يؤكد المنهج العلمي للقرآن في عرض العقيدة الإسلامية.




أهمية هذا الموضوع في القرآن
كثرة النصوص حول المسألة
اقتران الإيمان بهم بالإيمان بالله
التحذير من تكذيبهم ومخالفتهم
وظيفتهم
التبليغ
أسماؤهم
أنبياء صرح بنبوتهم (٢١)
أنبياء غير معروفة أسماؤهم ولا عددهم
أنبياء لم يصرح بنبوتهم (٤)
أخبارهم
(مواضع التأسي من حياتهم)
جوانب القدوة في تاريخهم البشري
طرقهم في تبليغ الدعوة
أجناس المدعوين الذين اتصلوا بهم
نقاط البداية في دعوتهم
معاناتهم في التبليغ
ثباتهم
مواقف أتباعهم
النتيجة والمصير
صفاتهم
الأمانة والصدق في التبليغ
الخلق الكريم
الفطانة والحكمة وقوة الحجة
صفاتهم البشرية
دلائل صدقهم
معجزات لم تأت أصلا لإثبات النبوة (عدم احتراق إبراهيم بالنار)
معجزات اقترنت بالتحدي وجاءت أصلاً لإثبات النبوة (القرآن)

# المبحث الثاني
# الوحي والرسالات

## أولاً: الوحي:

لا يجد قارئ القرآن تفصيلاً قرآنياً للوحي من حيث هو، أو من حيث كيفيته إلا بحدود ضيقة، والغالب على الظن أن هذا يعود إلى منهج القرآن العملي، فقضية الوحي قضية غيبية بحتة، ولا يهم الإنسان منها سوى التصديق بمعناها القريب منه، وهو إيصال الرسالة من الله إلى رسوله بطريقة ما، والتصديق يكون بالمعجزات، أو بدلائل النبوة الأخرى، فإذا صدَّق الإنسان بهذه الحقيقة فهذا يكفي، ولنر الآن حديث القرآن عن الوحي:

وردت كلمة الوحي ومشتقاتها في القرآن بنحو (٧٨) مرة، غير أن هذه المرات الكثيرة تكاد تكون خالية من تفصيل الجانب الغيبي، وإنما يأتي بعضها لإخبارنا بأن الله أوحى إلى رسوله بكذا، وهذا كثير جدا، مثل:

﴿...فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ النجم، ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف:١١٧]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ [النحل:١٢٣].

وقد يأتي بمعنى الرسالة نفسها مثل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ...﴾ [الأنبياء:٤٥]، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ...﴾ [يونس:١٥]، ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ...﴾ [هود:١٢].

وهذا كثير أيضاً، وقد يأتي لمعان لغويه لا علاقة لها بالرسول والرسالة، مثل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ [النحل:٦٨]، و﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ الزلزلة.

والخلاصة أن القرآن تحدث عن الوحي من حيث التصديق به، أو من حيث الأمر بطاعته وتبليغه ونحو هذا، أما في كنهه وكيفيته فلم نجد إلا القليل، ولنقف عنده:

الآية الوحيدة التي تقف عند هذا الموضوع هي: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ...﴾ [الشورى: ٥١]، فهذه

الآية حددت طرق تلقي النبي عن الله أنّها ثلاث:

الأولى: الوحي: وواضح أن المقصود به هنا الإلهام، بمعنى أن الله سبحانه يقذف المعنى في قلب النبي بوضوح بحيث لا يختلط مع غيره واردات ذهنية وخواطر، ولكن القرآن لم يفصل كيفية هذا الوحي إطلاقاً، فلا ندري كيف يتلقى النبي كلمات الله، ربما ذكر القرآن كيفية واحدة جاءت في جزئية معينة من القصص النبوية وهي: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الصافات، فهذه الآيات تبين الرؤيا هي أحد طرق الوحي.

الثانية: من وراء الحجاب: ومعناه أن الله تبارك وتعالى قد يخاطب النبي ولكن من وراء حجاب، كما في قصة موسى -عليه السلام- حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ طه، فموسى كليم الله، ولكنه كلّمه من وراء حجاب، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف، مع هذا فإن القرآن لم يبين لنا كيفية تكلم الله، وكيف سمع موسى هذا الكلام، لكن ما الفائدة العملية لإخبارنا؟ ولو أخبرنا فهل ستفهم عقولنا لغة الغيب؟!.

الثالثة: أن يرسل رسولا: والمقصود هنا الملك الموكل بالوحي، حيث يأتي بالوحي من الله، وهذا هو الذي وضحه القرآن بقوله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة:٩٧]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء.

ثانيا: الرسالات: أما الرسالات فقد اعتنى بها القرآن أكثر؛ لأنها تمس الميدان التكليفي العملي، حيث تمثل كل ما نزل له الوحي على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من عقائد وتشريعات وأخبار، وبالتالي فالإيمان بالرسالات والعمل بمقتضاها هو النتيجة العملية للإيمان بالوحي، وقد نستطيع أن نلمس المنهج القرآني

في هذا الموضوع من خلال تقسيمه إلى القسمين الآتيين:

**القسم الأول: موقف القرآن من الرسالات السابقة:**

مع كثرة ما ورد من القرآن من تفاصيل عن الرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام– ألا أن القرآن لم يذكر لنا إلا بعضاً من رسالاتهم، ولا ندري أهذه كل الرسالات؟! أم أن القرآن ذكر هذا وسكت عن الباقي لحكمة يعلمها الله، ولكن الذي تحدث عنه القرآن من الرسالات سنتناوله كالآتي:

**أ- التوراة :**

ذكر القرآن التوراة (١٨) مرة، وخلاصة حديث القرآن عن التوراة قد نستطيع إجماله في الآتي:

١- وصف القرآن التوراة بأنها نور وفرقان وضياء وذكر، ولنقرأ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ... ﴾[المائدة:٤٤]، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ﴾ الأنبياء.

٢- إن التوراة كتاب شامل لكل شيء: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ... ﴾[الأنعام:١٥٤].

٣- إن الرسالات التي جاءت بعدها مصدقة لها، فلقد قال القرآن عن عيسى – عليه السلام– ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾ المائدة، وقال عن محمد ﷺ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾ البقرة.

٤- إن القرآن تحدث عن بعض الذي جاء في التوراة، ولنأخذ هذين المثالين:

**المثال الأول:**

﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ المائدة.

**المثال الثاني :**

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٥- ذكـر القـرآن الذين كلفوا بحمل أمانة «التـوراة»، فمنهم من حملها بأمانة ومنهم من لم يحملهـا، فقال عـن الأولـين: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٥٩]، وقـال عن الآخريـن: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الجمعـة، لكـن هؤلاء أصبحوا هم الكثرة الغالبة، فأخذ القرآن لا يتحدث عن حملة التـوراة ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إلا ويعمهـم بالخيانـة ونقـض الميثـاق ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ الإسراء.

٦- أكد القرآن أنّ التوراة الموجودة الآن بين أيدينا هي ليست التوراة التي أنزلها الله على موسـى -عليه السـلام- وإنما هي محرفة من قبل بني إسرائيل الذين خانوا العهد، ونقضوا الميثاق، يقول القرآن: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقـرة، ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ البقـرة، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣].

**ب- الإنجيل:**

ذكـر القرآن «الإنجيـل» (١٢) مرة، ويكاد يكون حديث القرآن عـن الإنجيل قريباً من حديثه عن التوراة، إلا في بعض النقاط، ولنر:

١- وصف القرآن الإنجيل بأنه هدى ونور وموعظة: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦].

٢- لم يصف القرآن الإنجيل بما وصف به التوراة من أنه كتاب شامل يفصل كل شيء، بـل عـلى العكس، جاء وكأنـه يصفه بمهمـة محدودة، هي نسـخ بعض مـا ورد بالتوراة من

أحكام، لحكمة يعلمها الله، يقول القرآن على لسان عيسى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[آل عمران]، ولهذا ربط القرآن بينهما في مهمة عيسى عليه السلام فقال: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آل عمران:٤٨-٤٩].

٣- هناك فرق واضح في اهتمام القرآن، فالظاهر اهتمامه في رسالة موسى أكثر من الإنجيل ويظهر في عدد المرات التي ذكرت فيها التوراة (١٨) مرة و بينما ذكر الإنجيل (١٢) مرة، وذكر موسى (١٣٦) مرة، بينما لم يذكر عيسى إلا (٢٥) مرة، هنالك إشارة ربما تكون اظهر في الدلالة على اهتمام القرآن بالتوراة أكثر من اهتمامه بالإنجيل، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحقاف.

٤- بالإضافة إلى ما ورد في التوراة والإنجيل من وصف لرسول الله محمد ﷺ كما مر معنا في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ... ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، لكن القرآن يجعل هناك خاصيّة لرسالة عيسى -عليه السلام - في هذا الموضوع، ألا وهي كون البشارة بمجيء الرسول الخاتم ﷺ جعلت كأنّها الركن الأهم في رسالة عيسى -عليه السلام- : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[الصف: ٦].

٥- إن القرآن جاء مصدقا لرسالة عيسى -عليه السلام - كما هو مصدق لجميع الرسالات السابقة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ... ﴾[آل عمران: ٨١].

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾ [البقرة:٩٧].

٦- وتحدث عن حملة الإنجيل كما تحدث عن حملة التوراة، فقسمهم إلى قسمين: فئة وقفت مع الإنجيل الحق، وأخرى كاذبة كافرة خائنة فقال عن الأولى: ﴿ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ آل عمران، وأما الثانية فهم ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة:١٤].

٧- ويخلص القرآن إلى الإنجيل الذي بين أيدينا ألآن ليس هو كلام الله، بل هو من تحريف المحرفين: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران.

والحقيقة إن القرآن لا يفصِّل في مقدار التحريف الذي ورد على التوراة والإنجيل، وكأن هدفه فقط أن يقول لنا إن هذين الكتابين ليسا مصدر ثقة؛ لأن الأهواء دخلتهما أما التفصيل فلا نحتاجه نحن، وأيضا فإن مقدار التحريف مختلف زماناً ومكاناً ومذاهباً، فلم يرد القرآن أن يدخل هذه المعمعة، والله أعلم.

### ج - الزبور:

وردَتْ كلمة الزبور في القرآن ثلاث مرات، وهذه هي: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء.

﴿ ...وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء:١٦٣].

﴿ ...وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٥].

والآية الأولى ليست صريحة في زبور داود، أما الآيتان الأخريان فليس فيهما أي تفصيل لهذا الكتاب، ولم أجد في غير هذه الثلاث ما يعيننا على تكوين أي صورة عن هذه الرسالة غير أني ذهبت أتلمس في قصة النبي داود -عليه السلام- الذي تكرر اسمه في القرآن (١٦) مرة، فلم أجد ما يعينني إلا في مثل قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ... ﴾ [المائدة:٧٨].

فهل هذا اللعن في الزبور؟ الله أعلم، وفي مثل: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا ... ﴾ [النمل:١٥]، فهل المقصود بالعلم الزبور نفسه؟ الله أعلم، ومثل ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾ [ص: ٢٦]، فهل الحق كان ألزبور، بمعنى هل كان دستور الحكم الزبور؟ الله أعلم.

**د: الصحف:**

وكل الذي جاء في القرآن عنها هوَ ذا:

﴿ ...أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه:١٣٣].

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النجم.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعلى.

**هـ - الألواح:**

وهي ألواح موسى -عليه السلام- وقد وردت في ثلاث مواضع:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ... ﴾[الأعراف:١٥٠].

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٤.

**مما تقدم نستطيع أن نسجل الملاحظات الآتية عن المنهج القرآني:**

الأولى: اهتمام القرآن بالجانب العملي وابتعاده عن الجانب الفلسفي الغيبي، وعلى هذا رأينا كيف تحدث القرآن عن إمكانية الوحي، بل وثبوته، ثم عن الإيمان والتصديق به، ونحو هذا، بينما ابتعد عن كيفية التلقي عن الله أو عن الملك، ورأينا كيف اهتم القرآن بالرسالات التي لها أتباعها اليوم، وابتعد عن التفصيل في باقي الرسالات، وفي الرسالات الباقية لم يتحدث القرآن إلا عما فيه مصلحة للمسلمين.

الثانية: تبيان القرآن لمواقف أهل الكتاب السابقة المتباينة، وحكم الله في كل فريق منهم لتكون العبرة البالغة للوريث الشرعي لأولئك.

الثالثة: تحدث القرآن عن التحريف والتزوير الذي قام به أهل الكتب السابقة لكتبهم ليصل بنا إلى حقيقتين: الأولى: تكشف لنا الحقيقة هؤلاء القوم للحذر والفطنة، فان قوماً كذبوا على الله كيف لا يكذبون على مخلوق؟! والثانية: إن هذه الكتب التي تسمى «مقدسة» ليست عندنا كذلك بعد أن دخلها التزوير، بل من الممكن مطالعة نواياهم من خلالها.

الرابعة: ربط القرآن بين الرسالات السابقة والرسالة الخاتمة برباط وثيق، حيث وصفها بأنها يصدق بعضها بعضاً، وأنها هدى ونور ورحمة، وأنها تحمل ثوابت لا تختلف ولا تتغير كالتوحيد والعدل ..الخ.

الخامسة: أنه اهتم بالتوراة أكثر من كل الرسالات السابقة، وذلك لأمور كثيرة، قد يكون من ضمنها التشابه الكبير بين القرآن والتوراة من حيث الشمولية والتفصيل لكل شيء، وقد يكون لما فيها –بعد التحريف– من خفايا ونوايا اليهود الذين وضعوا عقيدتهم لتناسب أهدافهم السياسية أو الاقتصادية ..الخ.

السادسة: إن حديث القرآن عن القرآن جاء منصباً على الجوانب العملية الداعية إلى التمسك بهذا القرآن والعمل بأحكامه، ونلمح هذا في أهم القضايا التي عالجها القرآن في هذا المجال، وهي:

- تأكيد عظمة القرآن وفائدته للبشرية من خلال أسماء القرآن كالنور والهدى والحق ونحوها، أو من خلال تأكيد شموليته لكل يحتاجه الإنسان على هذه الأرض، أو من خلال عالميته التي تؤكد صلاحيته لكل زمان ومكان.
- إثبات أن هذا القرآن هو الرسالة الصادقة من الخالق العظيم إلى خلقه وقد جاء هذا جليا من خلال عقيدة «الإعجاز القرآني»، حيث تحدى القرآن الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.
- طمأنة المؤمنين بهذا القرآن أن الله قد تكفل بحفظ هذا القرآن فمهما مَرَّ بالأمة من نوازل وكوارث ومهما تغلب أعداؤها على مقدراتها فأن القرآن هو القرآن، وسيبقى كما أنزله الله على قلب محمد ﷺ حتى نهاية العالم.
- حذَّر القرآن من المناهج المنحرفة التي تحاول أن تتعامل مع القرآن بطريقة تبعده عن أداء رسالته الحقيقية في هذا العالم اعتماداً على سعة المدلولات العربية بعد فصل مواردها في بعض الآيات التفصيلية عن محكمات القرآن وأصوله البينات.
- وتجدر الإشارة في ختام هذا المبحث أن مصطلح "الرسالات" الذي اخترناه هنا هو أعم من مصطلح "الكتب السماوية"؛ حيث إن الرسالة تشمل مع الكتاب المنزل سنة الرسول ﷺ، حيث هي تبين الكتاب بالقول والعمل: ﴿ ...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... ﴾ [النحل: ٤٤]، ولذلك جاء الأمر بأتباع الأنبياء والرسل–عليهم الصلاة والسلام – في مثل قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

﴿ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ... ﴾ [الأنعام: ٩٠]، إلا أننا لم نر حاجة لتكرار هذا الجانب بعد أن فصلنا فيه هذا القول في المبحث السابق «الأنبياء والرسل».

## القسم الثاني: القرآن في القرآن:

تحدث القرآن، عن نفسه طويلاً، ولعلنا نقدر أن نختصر أهم ما جاء فيه عنه في النقاط التالية:

### ١ - أسماء القرآن[1] وصفاته:

**وصف القرآن نفسه بأسماء وصفات كثيرة من أبرزها:**

أ- القرآن: ورد هذا الاسم في القرآن بنحو (٧٠) مرة، منها: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]، ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [البروج: ٢١].

ب- الكتاب: مثل ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ... ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ... ﴾ [غافر:٢].

ت- الفرقان: مثل ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ... ﴾ [الفرقان:١].

د- الذكر: مثل ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ... ﴾ [النحل:٤٤] .

هـ- تنزيل: مثل ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فصلت.

و- النبأ: مثل ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ص، ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾ النبأ.

ز- النور: مثل ﴿ ...وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:١٧٤]، ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا ... ﴾ [التغابن:٨].

ح- الحق: مثل ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ ... ﴾ [الأنعام: ٦٦].

ط- برهان: مثل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ... ﴾ [النساء: ١٧٤].

ي- بلاغ: مثل ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ... ﴾ [إبراهيم:٥٢].

ك-ل-م: البيان والهدى والموعظة: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٨].

---

(١) من النافع مطالعة: «الهدي والبيان في أسماء القرآن» للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، الذي جمع فيه كل أسماء القرآن الكريم وصفاته -إلا ما شاء الله- مع الشرح والتفصيل.

ن-س: شفاء ورحمة : مثل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

ع-ف عليٌّ وحكيم: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف:٤].

ص- تذكرة: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاقة:٤٨].

وواضح هدف القرآن من كل هذه الأسماء والأوصاف، أنها تعطي الصورة المتكاملة للقرآن، وتوضح مهمة القرآن الأساسية في هذه الأرض، إن هذه الأسماء تلقي في نفس القارئ حقائق كبيرة تقود حتماً إلى الأداء الأفضل في وظيفته الأرضية.

### ٢- نزول القرآن:

**تناول القرآن هذا المعنى من زوايا متعددة، منها:**

أ- واسطة النزول: حيث حدد القرآن أن الذي نزل القرآن على محمدﷺ إنما هو جبريل الأمين، ولنقرأ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧]، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ الشعراء.

ب- بدء النزول: حيث حدد القرآن أنه في شهر رمضان وليلة القدر، فقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ... ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ القدر، والقرآن وإن لم يحدد أن فيها بدأ النزول، إلا أن القرائن تفيد أن هذا هو المقصود، وأنظر في الفقرة جـ:

جـ- تفريق النزول: حيث تحدث القرآن في أكثر من موضع أنه نزل مفرقاً على مكث من الزمن ولم ينزل جملة واحدة، فتسمع القرآن يقول: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

ومن يتصفَّح القرآن يجد هذا التفريق واضحاً من خلال أسباب النزول، فكثيراً ما ينزل القرآن جواباً على سؤال أو حلاً لمشكلة أو عتاباً على تصرف، ونحو هذا.

### ٣- شمولية القرآن:

حيث جاء القرآن يؤكد أنه كتاب شامل لكل النواحي التي يحتاجها الإنسان في مهمته على هذه الأرض، فهو كتاب عقيدة، وعبادة، وجهاد، وأخلاق، ودستور، ونظام حياة،تجد هذا واضح في مثل قوله تعالى: ﴿ ...مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ

﴿ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ ... ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿ ...وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقارئ القرآن يجد هذا واضحاً جلياً، ففي القرآن تفصيلٌ العقيدة، وأمرٌ بالعبادة، وذكرٌ لتاريخ الرسل، والأمم السابقة، وفيه شريعة كاملة، من الأسرة ونظامها حتى الخلافة والسياسة الخارجية إلى جوانب الاجتماع والاقتصاد وغيرها.

وأقر أمثلا هذه الآيات:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾[الأنفال: ٦٧].

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾[الأنفال: ٦١].

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ... ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ [التوبة: ١٠٣].

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ... ﴾[النساء: ٤].

﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ... ﴾[البقرة: ٢٣٣].

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ [النساء٧].

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ... ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١ – ٣].

**٤-عمومية القرآن للناس كافة بل وحتى الجن:**

ولنقرأ:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ... ﴾ [سبأ: ٢٨].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ الأحقاف.

**٥-أنه معجزة لا يقدر أحد أن يأتي بمثله أبداً:**

ولنقرأ:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ الطور.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨].

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٠].

تحدّاهم القرآن بهذا الأسلوب الاستفزازي الذي يبعث في نفس الخصم روح الإصرار والاستنفار والجدية القصوى في المواجهة، ومع هذا لم يقم للقرآن أحد من خصومه فثبت إعجازه، وثبت إنه معجزة.

إلا أن السؤال الذي ينقدح في الذهن بدون تريث: لماذا؟! لماذا عجز العرب عن أن يأتوا بسورة واحدة مثل سورة القرآن؟! ما الذي أعجزهم في القرآن؟! القرآن نفسه لا يجيب على هذا السؤال، وكأنه أراد إن يتركك لتبحث بكل جهدك لتكشف جوانب الإعجاز بنفسك، من الممكن أن تكون هذه الحكمة، ومن الممكن القول أن القرآن كله معجزة: لفظه ومعناه،حكمة وبيانه،أخباره الماضية وأنباؤه المستقبلية، تحليله للنفس أو تحليله للكون ...الخ، فلما كان كله معجزاً اكتفى القرآن بأن يتحداهم بمثله، والمثل كلمة شاملة مطلقة.

**٦- أن الله تكفل بحفظه:** ولنقرأ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

﴿ ...وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى٢٤].

ولا يزال الواقع يشهد بهذا الحفظ، فمع اختلاف المسلمين وتباين أرائهم ومذاهبهم في الكثير من المسائل الكثيرة والطفيفة إلا إن يد التزوير لم تستطيع إن تمتد إلى كتاب الله – تبارك تعالى–، وكذلك تعرضت الأمة لحالات من الضعف والانحطاط والجهل وسيطرة أعدائها على مقدراتها وحتى مدارسها ومناهج التعليم فيها، ومع هذا بقي القرآن هو القرآن، فالله أكبر!!.

**٧- أن القرآن فيه محكم ومتشابه:** ولنقرأ:

﴿ ...كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١].

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ... ﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

هذه الآيات الثلاث تحمل ثلاثة معانٍ تبدو ولأول وهلة كأنها متضادة، فالأولى معناها: أن القرآن محكم، والثانية: أن القرآن متشابه، والثالثة: أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه!.. فما حقيقة الأمر؟

إننا لو أتينا إلى النص نفسه من غير أن نحمل ثقل الخلاف الكلامي حول موضوع "المحكم والمتشابه" فسنصل إلى حقيقة الأمر بيسر إن شاء الله، ولنبدأ:

ما معنى ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١]، الإحكام هو الإتقان، والقرآن كله محكم؛ بمعنى أنه متقن وبأعلى درجات الإتقان، ولو لم يكن كذلك فكيف أعجز بلغاء العرب وفصحاءهم؟

وبعد فلنسأل: ما معنى ﴿ مُّتَشَٰبِهًا ﴾ ؟ التشابه: التشاكل والتماثل: وآيات القرآن كلها متشابه قطعاً، فليس بينهما تناقض واختلاف ﴿ ...وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء، وهذا المعنى يعضد المعنى الأول، فالقرآن محكم ولأنه محكم فهو متشابه، أو هو متقن، ولأنه متقن فهو ليس مختلفاً ولا متناقضاً، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفهم الآية الثالثة؟!

إن الآية وضعت المحكم بمقابل المتشابه فلا يمكن الجمع بينهما، أذاً هل المحكم هنا غير المحكم في الآية الأولى؟ وهل المتشابه هنا غير المتشابه في الآية الثانية؟ الجواب «بنعم»أو «لا» لا يخلو مِنَ تَسرُّع، ولو تأملنا في النص نفسه لوجدنا ان المحكم في الآية الثالثة قد

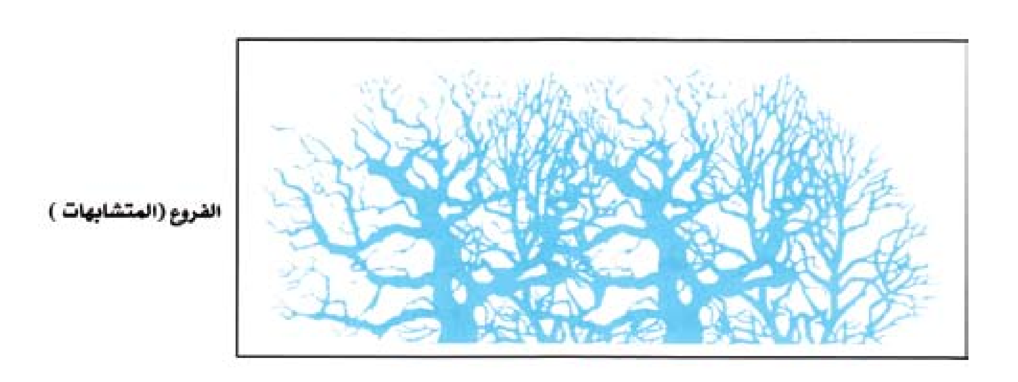
أضيف له معنى زائد على معناه الأول، فالمحكم هنا المتقن مضافا إليه انه أم الكتاب، ومعنى أم الكتاب هنا واضح، فأمك أصلك، منها ولدت، فالقرآن يقول لك: إن في القرآن آيات متقنات مثل الأصول الواضحة لهذا القرآن كله، وإذا كانت هذه أصولا فإذا هنالك فروع تنبني على هذه الأصول، لأن القرآن ما قال: ( هنَّ الكتاب )، بل [هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ] فالكتاب إذاً أصول وفروع، والأصول هنا "المحكمات"، إذاً فالفروع" المتشابهات، فالمتشابهات إذاً أضيف إليها معنى زائد على مجرد التماثل وعدم الاختلاف، وهو أنها فروع ينبغي أن تبنى على أصولها، وعلى هذا فإتباع المتشابه يؤدي إلى الفتنه، لا بمعنى أن المتشابه نفسه فتنة- معاذ الله- فليس في القرآن إلا النور والهدى والشفاء، كما مر معنا في أسماء القرآن وصفاته، لكن الفتنة جاءت من إتباع المتشابه فقط بعيداً عن أصوله، وهنا الفتنه وهنا الخطر: إذ كيف تريد أن تفهم معنى فرعياً وجزئياً بعد أن قطعته من أصوله؟![1] وكأني الآن أستطيع أن أقرب الصورة من خلال الأمثلة الافتراضية الآتية:

أ- لو قال شخص: إن رسالة محمد ﷺ خاصة بالقومية العربية بدليل قوله -تعالى- : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

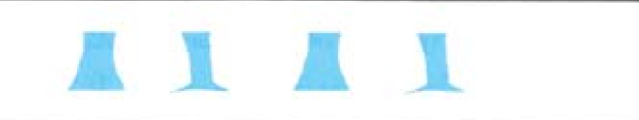
ب- لو قال شخص: إن الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله باطل بقوله -تعالى-: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[البقرة: ٢٥٦].

❊ ❊ ❊

(١) ولتوضيح هذه الفكرة ينظر النموذج في الصفحة التالية.




الأصول ( المحكمات )



الفروع المقطوعة من أصولها

الفروع (المتشابهات )

الأصول ( المحكمات )

الفروع المتصلة بأصولها

جـ- لو قال شـخص: إن القرآن أقرّ وحدة الأديان، وأنه لا فرق بين المسلم واليهودي والنصراني وغيرهم إذا سلم القلب وحسن العمل، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢].

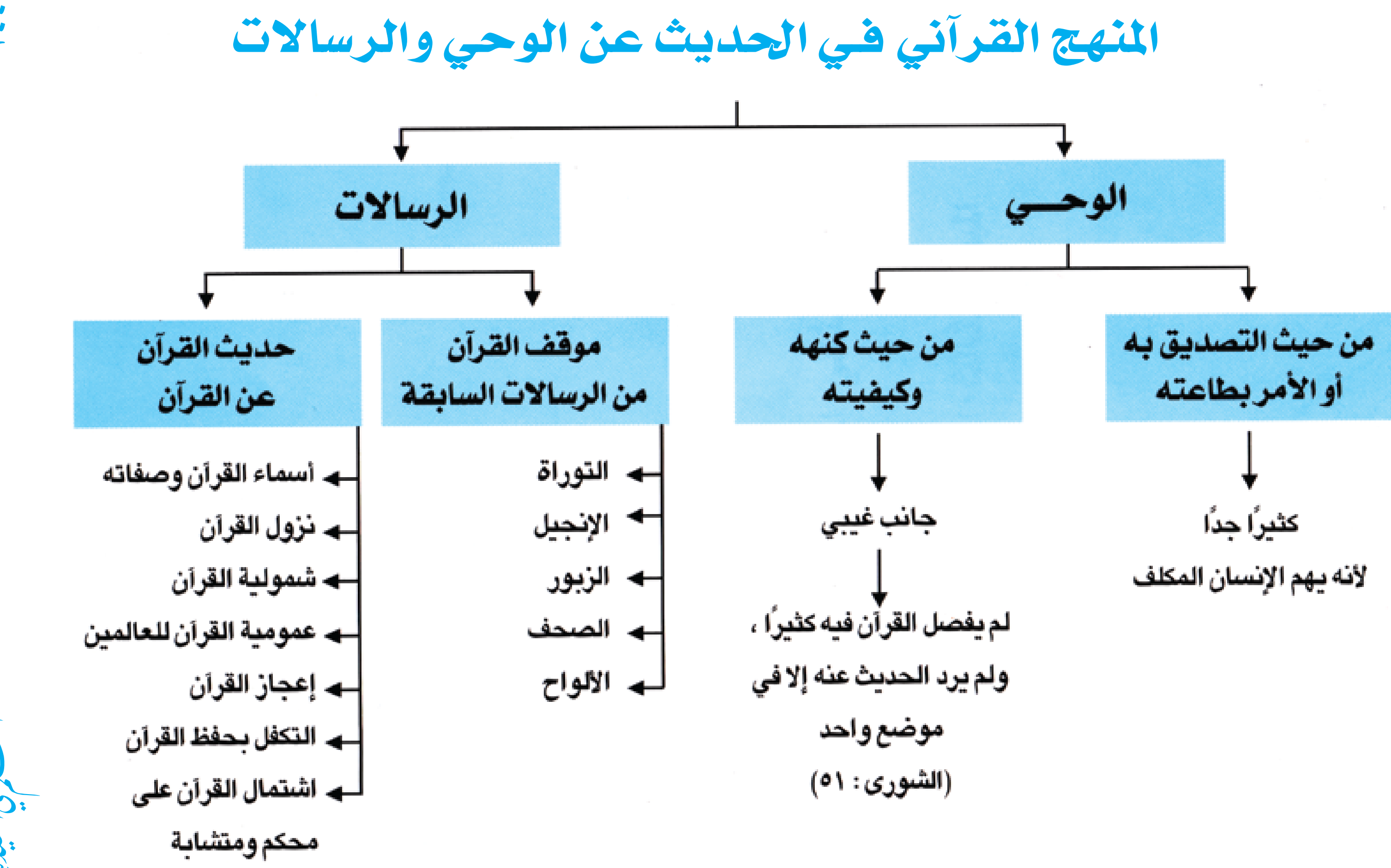
فهؤلاء كلهم جاءوا إلى هذه الآيات وقطعوها عن أصولها، وحاولوا فهمها بما يناقض الأصول الثابتة في كتاب الله، فكانوا أهل زيغ وأهل فتنة لكن المؤمن لا تلتبس عليه هذه الآيات، فعالمية الإسلام هي أصل من أصول القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...﴾ [سبأ: ٢٨]، فكيف يستطيع إن يقتنع بأن الإسلام دين القومية العربية فقط، أو دين قريش لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء٢١٤]، أنه سيفهم كل هذه الفرعيات على أنها -مثلا- تمثل مرحلة من مسيرة الدعوة، أو أي معنى آخر لا يهدم الأصل، وهكذا في الثاني، فالأصل ثابت عند المؤمنين أن الدعوة والجهاد من صميم ديننا وآيات القرآن الواضحات أكثر من إن تحصى، وخذ هذه الآية فقط: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ...﴾[التوبة: ٥]، ونقول للثالث اقرأ فقط: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

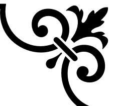
فـإذاً ليس في القرآن آيات ينبغي أن لا نقرأها ولا نتدبرها لأنها تؤدي إلى الفتنة أو لأنها متشابهات،كيف والقرآن يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ...﴾[النساء: ٨٢]، ولم يستثن أي آية، ولو كان في القرآن آيات لا يجوز أتباعها والبحث عنها فأولاً: لماذا لم يحددها القرآن؟ وثانياً: كيف يكون القرآن معجزاً ببيانه وبلاغته وفيه آيات لا تفهم؟ لا سيما وأن، آية آل عمران تشير -ولو من بعيد- إلى أن المتشابهات أكثر لأن المحكمات هن أم الكتاب فقط، فهل القرآن كله أمّهات؟!.

إن هذا المعنى للمحكم والمتشابه هو الذي ينسجم مع مبادئ الإسلام ووظيفة القرآن ولا يصطدم بأي حقيقة إسلامية ثابتة، غير إن هناك إشكالاً في الوقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ في آية آل عمران، وهو وقوف صحيح لا غبار عليه، فكيف يكون لا يعلمه إلا الله، ثم نقول

أن المتشابه من الممكن أن يُعْرف برده إلى أصول المحكمات؟، الحقيقة إن هذه الإشكالية وإن كثر فيها الجدل إلا أنها إن لم تخرج من دائرة النص، فمن الممكن فهمها بيسر وبإرجاعها إلى المحكمات أيضاً، فلما كان عندنا يقيناً أن القرآن رسالة هدى ونور، ودستور حياة، لا كتاب ألغاز وطلاسم، فلا يصح عندنا بعدُ أن نتصور وجود آيات لا يفهمها إلا الله، وإذا كان الأمر كذلك فحل هذه الإشكالية لا يكلف كثيراً، إذ من الممكن القول: أنّ أهل الزيغ أرادوا أن يؤولوا بعض الآيات تأويلاً باطلاً يبتغون به الفتنة، وتأويلهم هذا وغايتهم لا يعلمها إلا الله، فهو الذي يعلم خفايا النفوس ونوايا الضمائر، أما نحن فقد نشك وقد نظن وربما نجهل تماما، وبهذا التفسير نجمع أيضا معنى القرائتين فالقراءة الثانية: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، جعلت الراسخين يعلمون تأويله، فيكون المعنى لا يعلم تأويله عندهم وقصدهم من ذلك إلا الله، والراسخون في العلم لا تفتنهم تأويلات الزائغين، فهم على علم وبصيرة، ولهذا يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، هذا على القراءة الأولى، وعلى الثانية إن المتشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون الذين يعلمون أصول هذا الدين لا تشتبه عليهم الفرعيات كما تشتبه على غيرهم، والله أعلم.




المنهج القرآني في الحديث عن الوحي والرسالات
الوحـــي
الرسالات
من حيث التصديق به أو الأمر بطاعته
كثيرًا جدًا
لأنه يهم الإنسان المكلف
من حيث كنهه وكيفيته
جانب غيبي
لم يفصل القرآن فيه كثيرًا ، ولم يرد الحديث عنه إلا في موضع واحد
(الشورى : ٥١)
موقف القرآن من الرسالات السابقة
التوراة
الإنجيل
الزبور
الصحف
الألواح
حديث القرآن عن القرآن
أسماء القرآن وصفاته
نزول القرآن
شمولية القرآن
عمومية القرآن للعالمين
إعجاز القرآن
التكفل بحفظ القرآن
اشتمال القرآن على محكم ومتشابة



# الفصل الرابع
# السمعيات

- المبحث الأول: اليوم الآخر
- المبحث الثاني: الملائكة
- المبحث الثالث: الجن

# المبحث الأول
# اليوم الآخر

الإيـمان باليـوم الآخر هو حجر الزاوية في العقيدة الإسـلامية، ذاك لأن الإنسـان بطبعه لا يلزم نفسـه بالطاعة إلا أن تكون من ورائها دفْعُ مفسـدةٍ، أو جلبُ مصلحةٍ، فالإيمان بالله وبرسالاته لا يؤدي ثمرته إلا إذا كان هناك جزاء ينتظره الإنسان، ومن ثمّ كان الإيمان باليوم الآخر له دور كبير في إلزام الإنسان بمنهج الله[1]، ومن هنا جاء اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر اهتماماً لا يقل عن الاهتمام بالركنين السابقين "الإلهيات" و"النبوات"، ولنأخذ أمثلة على هذا الاهتمام:

أ- ذكـر القـرآن اليوم الآخـر بما يصعب حصره فلقـد جاء ذكر الآخـرة في القرآن بنحو (١١٤) مرة واليوم الآخر بنحو (٢٦) مرة، أما أسـماء اليوم الآخر الأخرى فهي كثيرة جداً وربما تأتينا شواهد منها بعد.

ب- في الغالـب يأتي ذكر الإيمان باليوم الآخر عقب الإيمان بالله دون فاصل ولنقرأ هذه الأمثلة:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿....ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) وهـذا يعنـي أن الإيـمان باليوم الآخر ضروري لسـعادة الإنسـان في الحياة الدنيـا، لان الذي لا يؤمن بيـوم الحسـاب والجـزاء أي شيء سـيمنعه من الظلم والإفسـاد؟ بل كيف سـينظر الى حياتـه القصيرة هذه ولو ملأها بأسـباب النعيم وهو يرى أن المسـألة مسـألة وقت ثم يتخطفه المجهول؟!! يقول الدكتور عمر سـليمان الأشـقر: «إن بعض الذين يرفضون فكرة الرجعة الى الحياة يبدؤون بالنواح الحزين في حياتهم التي تتلاشـى وتتناقص في كل لحظة تمضي، وقد يسـلمهم هذا الى العزلة والألم حتـى يوافيهم الموت، وان كانوا كتّابا أو شـعراء، فأنهم يسـجلون مشـاعرهم الحزينة التي يندبون بها حياتهم في مقالات أو كتب أو أشـعار تجسم شقوتهم وحيرتهم وألمهم ....وبعض الذين يكفرون بالبعث والنشور يسارعون الى اقتناص الملذات والشـهوات ، كأنـما هـم في صراع مع الزمن يخشـون أن تمضي أيامهم ولما يشـبعوا من مباهـج الحياة (اليوم الآخر:١/ ٦).

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

ج- الشمولية الواسعة التي حظي بها «اليوم الآخر» في القرآن الكريم، فلقد بحث القرآن الموت والبعث والحشر والحساب والميزان والصحف والصراط والجنة والنار، وكل هذا بتفصيل دقيق لاسيما إذا كان الغرض الترغيب والترهيب، وكل هذا سنمر عليه إن شاء الله. هذا وسنعرض عقيدة اليوم الآخر في القرآن الكريم بنقاط مختصرة، لكنها جامعة -إن شاء الله- لأهم ما ينبغي أن يعرفه المسلم في هذا الموضوع وكما يأتي:

## النقطة الأولى: أدلة وجود اليوم الآخر ومناقشة المنكرين:

يبدو أن القرآن استخدم دليل الخلق في إثبات اليوم الآخر، فالله- تعالى- خلق الكون من العدم، فما المانع من أن يخلقه مرة ثانية، والإعادة في عادة البشر أهون من الابتداء، وإذا كان الأمر ممكناً، والقرآن أخبر بوقوعه، والقرآن هو المعجزة الظاهرة، فعلامَ التكذيب؟! أستطيع أن أقول: إن هذا هو الدليل الوحيد الذي استخدمه القرآن في إقناع منكري اليوم الآخر، ولنقرأ بعض الأمثلة من القرآن الكريم:

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس.

ماذا يقول الإنسان وهو يقرا هذه الآيات؟ وأي ملجأ سيبقى لشاكٍّ أو معاندٍ؟! لقد أخذ القرآن بيد الإنسان وجعله يتلمَّس بنفسه الواقع المحسوس الذي يشهد أن الله على كل شيء

قدير، وأنه سيعيدنا كما بدأنا أول مرة، اللهم فأحسن عودتنا إليك. وربما استخدم القرآن دليلاً قريباً من الأول ونستطيع ن نسميه «دليل الملك» فمن هو مالك السموات والأرض والإنسان؟ فالمالك هو الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولنقرأ هذا النص فقط:

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ المؤمنون.

وهناك ما يمكن تسميته بالدليل الحسي، حيث استخدم القرآن شيئاً مما يحسه الإنسان، ويشاهده في عالم الدنيا، ليقرب له صورة البعث والنشور، ولنصغ إلى القرآن: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ ق.

ويقول: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠].

إن من يعرف الكمأة مثلاً كيف تنمو ثم تنضج فإذا تركت في الأرض تلفت بأجل قصير، ثم يمر المارُّ على الأرض فلا يرى فيها إلا التراب، ثم تمر السنة والسنتان والثلاث، حتى إذا نزل الغيث في موسم محدد ظهرت الكمأة، مثل الجسد الذي بلي وانتهى، ذلك أن الجسد الذي بلي بقيت منه ملايين الخلايا غير المرئية مع التراب، تقاوم الجفاف والشمس والريح، حتى تتمكن في الظروف المناسبة أن تحيا وتعيد شكل الجسد نفسه الذي تفسّخ، وغالب الثمار التي نأكل، فيها بذور البقاء، وهي تقاوم الجفاف حتى تعيد دورة النبات بسنة إلهية محكمة إن الله يقول لنا: ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ و﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾، إنها تقريب لأذهاننا، ومن الواقع الذي نعيش، والقانون الذي نشاهد...

وربما تكتمل صورة التشبيه هذا بحديث رسول الله ﷺ: (وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلا عَجَبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ)[1]، وقوله ﷺ: (وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى، إِلا

(١) رواه البخاري/ التجريد الصريح ج٢ ص ١٢٠.

عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَة)[١].

فما أشبه جسد الإنسان بجسم الثمرة، وما أشبه عجب الذنب بالنواة أو البذرة التي تستعصي على الفناء؛ لكي تعيد الحياة من الجديد إلى النبتة في شكلها الأول.

نعم فمن يقرأ هذا البيان ثم يصر على عناده إنه لكاذب، وهؤلاء الكاذبون قد لا ينفع معهم دليل ولا برهان، إنهم بحاجة إلى من يهزمهم من داخلهم فينفض عنهم غبار العناد والكذب[٢]، وقد استخدم القرآن هذا كحلقة مكملة للدليل، ذلك لأن الله تعالى يعلم أن الدليل لوحده قد لا يكفي لإخراج المكذب من دائرته، فجاء القرآن ليهزه بقوة ويجعله يفكر مع نفسه، ولنقف عند هذا النص: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٥ – ٢٦].

---

(١) رواه مسلم/ السراج الوهاج ج١١ ص٤٩٦.

(٢) والإنسان لو قلب أوراقه من داخله لوجد الإيمان باليوم الآخر في أعماق ضميره، انظر كيف يصوّر الأستاذ سيد القطب- رحمه الله- تلك الحقيقة، حيث كتب عنوان ( العالم الآخر في الضمير البشري ) جاء فيه: عمر الفرد على هذا الكوكب الأرضي قصير، وأيامه في هذا العالم الفاني محدودة، ورغبة الفرد في أن يعيش رغبة فطرية، وحاجته على الأرض لا تنقضي وآماله غير محدودة، ولكنه يموت! يموت وفي نفسه حاجات، وترك على الأرض آماله، كما يترك من خلفه أعزاء يفجعه أن يفارقهم، ويفجعهم أن يغيب، فهلا كان لقاء بعد ذلك المغيب؟! هذه واحدة وينظر الإنسان فيرى الخير والشر يصطرعان والشر عارم، والرذيلة متبجحة، وكثيراً ما ينتصر الشر على الخير وتعلو الرذيلة على الفضيلة ، والفرد- في عمره المحدود-لا يشهد رد الفعل، ولا يرى عواقب الخير والشر، فأما حين كان هذا الإنسان طفلاً، أو حين يحيا على شريعة الغاب، فلا ضير في ذلك ولا ضرار، إنما الأمر قوة، والحياة للأغلب! وأما حين أخذ ضميره يستيقظ، فقد عزّ عليه أن لا تكون للخير كرة، وأن لا يلقي الشر جزاءه، وهذه ثانية. ثم أيكون مصير هذا الجنس الإنساني الذي عمر الأرض وصنع فيها ما صنع كمصير أية حشرة أو دابة او زاحفة؟! حياة قصيرة محدودة، لا يتم فيها شيء كامل أبداً، ثم ينتهي كل شيء إلى الأبد؟! لقد عزّ عليه أن يكون مصيره هو هذا المصير البائس المهين.. (مشاهد القيامة في القرآن ص١١، ١٢)، فالإنسان هنا لا يحتاج حقيقة إلى أدلة كثيرة ومتعاضدة لإثبات اليوم الآخر؛ لأن الحاجة إلى الشيء تنبئ عن وجوده، وهل هناك حاجة أكثر من هذه الحاجة التي صورها صاحب الظلال؟

عناصر الحياة

(روح) غيب

نطفة

تراب

الحياة الأولى

الموت

(روح) غيب

عجب الذنب

تراب

الحياة الأخرى

كما بدأكم تعودون

## النقطة الثانية: وصف اليوم الآخر بصورة إجمالية:

وسنأخذ هذا من خلال الأسماء التي منحها القرآن لليوم الآخر، وهذه أبرز تلك الأسماء فلينظر فيها:

١) يوم الدين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة.

٢) يوم القيامة: ﴿....وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥].

٣) يوم الحسرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ...﴾ [مريم: ٣٩].

٤) يوم البعث: ﴿...فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦].

٥) يوم الفصل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾ [الصافات:٢١].

٦) يوم التلاق: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

٧) يوم الآزفة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

٨) يوم الحساب: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧].

٩) يوم التناد: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢].

١٠) يوم الجمع: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ الشورى:١١٧.

١١) يوم الوعيد: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ ق.

١٢) يوم الخلود: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق:٣٤].

١٣) يوم الخروج: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢].

١٤) الدار الآخرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة:٩٤].

١٥) الآخرة: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤].

١٦) الساعة : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ...﴾ [الأنعام:٣١].

١٧) يوم التغابن: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ... ﴾[التغابن:٩].
١٨) الواقعة: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ الواقعة.
١٩) الحاقة: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾ الحاقة.
٢٠) القارعة: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة:٤]، ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة١-٣].
٢١) الطامة الكبرى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ النازعات.
٢٢) الصاخة: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ عبس.
٢٣) الغاشية: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ الغاشية.

ماذا يريد القرآن من كل هذه الأسماء؟... إن هذا الحشد ليس عبثاً[1]، إن كل اسم من هذه الأسماء يفتح لنا نافذة على ذلك اليوم الآتي، إنها لقطات مصورة، وكل لقطة تفعل فعلها في نفس هذا الكائن الضعيف «الإنسان» إنها تأخذه من تلابيبه لتوقفه على الصراط المستقيم صراط الله.

هذا في الإجمال!! فماذا لو تمعنّا في بعض التفاصيل؟! لندخل في النقطة الآتية ولنر:

## النقطة الثالثة: تفاصيل أحداث اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بالنسبة للإنسان بالموت، أما الكون بما فيه ومن فيه فبقيام الساعة، ثم تستمر الأحداث متتالية حتى الخلود الأبدي في نعيم الجنة أو في عذاب النار، فلنتسلسل مع أحداث اليوم الآخر .

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إن بعض العلماء جمعوا أسماء اليوم الآخر فبلغت ثمانين اسماً»، ثم يعقب ابن حجر بقوله: «ولو تتبع مثل هذا من القرآن زاد على ما ذكر»(فتح الباري: ١١/ ٣٩٦)، ويقول القرطبي رحمه الله: « كل ما عظم شانه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعت لديهم وموقعه، جمع له خمسمائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة» (التذكرة: ص٢٤٣،٢٤٤).

١ - الموت: الموت ليس غيباً، وإنما هو حقيقة مشاهدة محسوسة، وكل إنسان يوقن انه سيموت، والموت لا يحتاج إلى تفسير وبيان، ولا ينبغي أن نذهب عميقاً في الفلسفات العميقة، فنسأل ما الموت؟ وما حقيقته؟ فهذا يبعدنا عن الحقيقة، فالحقيقة أن هذا الإنسان الذي يتحرك ويكد ويلهج ويبني ويهدم ويأكل ويشرب تأتي عليه لحظه ينقلب إلى قطعة هامدة، فلا حركة ولا كلمة ولا أي شيء، ثم يتأذى أقرب الناس إليه بجثته الهامدة، لقد أصبحت نَتَناً وجيفةً لا تُطاق، فيتخلص أهله منه بأي طريق!! هذا هو الموت، فهل يشك فيه إنسان؟ وهل الإنسان بحاجة إلى أكثر من هذا؟

ذكر القرآن الموت ذكراً كثيراً، ويكفي أن نعلم أنه كرر لفظ "الموت" وما اشتق منها بنحو (١٦٥) مرة.

ومجرد تذكير الإنسان بالموت مغزى يهدف إليه القرآن، فالإنسان ينسى وهو بحاجة إلى من يذكره، ينسى الموت فيشقى ويطغى، لكنه إذا ذكر الموت ربما اتعظ وادّكر، ولكن القرآن قد يذكر الموت لا للتذكير فحسب بل ربما يقرن معه غايات أخرى، ولنأخذ هذه الأمثلة:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق:٤٣]، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان:٨]، وهنا جاء للتذكير بقدرة الله الفعال لما يريد.

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الواقعة، ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، وهنا جاء لتقرير ضعف الإنسان. ﴿ ...وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣]، وهنا جاء نذيراً للطغاة والظالمين.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨]، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾المؤمنون، وهنا جاء لبيان ندم الإنسان العاصي الغافل ساعة الموت .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[آل عمران: ١٤٥]، وهنا جاء ليثبت أن الموت مقدر وله أجل معلوم، وتصور كم ستلقي هذه العقيدة في نفوس أتباعها من جلد وشجاعة وإقدام، حتى قال قائلهم:

أيّ يومـيّ مـن المَـوتِ أفـرّ يـومَ لا يُـقـدَر أم يـوم قـدِرْ
يـومَ لا يُـقـدر لا أرْهَـبـه ومِـن المَـقـدور لا يَنجو الحَـذِر

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ... ﴾[آل عمران: ١٨٥]، القرار العام الحاسم الذي لا استثناء فيه، الأنبياء، الطغاة، الملائكة، الشياطين، الأولين والآخرين، يا له من القرار!!

لقد رأيت كيف أن القرآن لا يتحدث عن الموت إلا لما فيه خير الحياة!! إن كل الذي سمعناه يقودنا إلى الأداء الأفضل في مهمتنا الكبيرة على هذه الأرض.

٢-القبر والبرزخ: وهي المرحلة التي تأتي بعد الموت مباشرة وفيها يحجب جسد الميت ويحال بينهُ وبين الدنيا، وهذا الحائل هو الذي يسمى «البرزخ».

ولم يقف القرآن طويلاً عند هذه المرحلة، فكل ما ذكره عن البرزخ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون.

والآية توضح حقيقتين: الأولى: وجود مرحلة يقول فيها الإنسان: «رب ارجعون»، وهي بعد الموت قبل البعث، والثانية: أن بين هذه المرحلة والمرحلة الأولى برزخ «حاجز»[1]، ومن أراد أن يكسر هذا الحاجز يقال له: كلا.

وأما القبر، فمع أن القرآن ذكره ثماني مرات بمشتقاته، إلا أن القرآن لم يذكر عنه لذاته شيئاً جديداً، فمثلاً يقول القرآن: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾ عبس، وهذا معلوم فالميت يقبر، لكن الله أراد التذكير بقدرته سبحانه، وضعف عبده.

ويقول أيضاً: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج:٧]، فهذا الكلام عن البعث أكثر مما هو عن القبر، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ الانفطار، و﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ العاديات.

والمقصود أن القرآن لم يحدثنا عن تلك المرحلة، طبيعتها وطبيعة الإنسان فيها، وعمرها،

---

(١) جاء في مختار الصحاح: "البرزخ: الحاجز بين الشيئين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث. فمن مات فقد دخل البرزخ" (ص:٤٨).

لم أجد في القرآن من هذا شيئاً، نعم ربما هناك إشارات، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

فالعرض إذا كان قبل قيام الساعة فهو في عالم البرزخ، والله أعلم، لكن تبقى الحقيقة أن الله لم يفصل لنا تلك المرحلة، ولم يطلعنا على جوانبها، فلماذا؟ الله وحده هو الذي يعلم، ولكن أذا كان المقصود بذكر اليوم الآخر أساساً هو الإعداد ليوم الحساب ترغيباً وترهيباً فإن تفصيل القرآن للجنة وما فيها، والنار وما فيها، مع التأكد بأن الإنسان بعد موته لا يمكن أن يرجع إلى الدنيا، فبينه وبينها برزخ، هذا يكفي لمن كان له لب، والله أعلم.

٣- أشراط الساعة: الساعة حكم الله عليها بأن لا تأتي إلا بغتة، فقال:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾[الأعراف:١٨٧]، ومع هذا فإن الله -تعالى- برحمته قد جعل لها شرائط وعلامات، قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]، فما هي أشراط الساعة؟ أبرز ما ذكره القرآن من شرائط للساعة ما يأتي:[1]

أولاً: نزول عيسى بن مريم -عليه السلام- : لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ﴾[الزخرف: ٦١]، و﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٩].

ثانياً: خروج يأجوج ومأجوج: قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الأنبياء.

ثالثاً: خروج دابة الأرض تكلم الناس: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ النمل.

رابعاً: يشير القرآن في معرض تشبيهه للحياة الدنيا إلى علامة من علامات خرابها،

---

(١) ولقد فصلت السنة المطهرة أشراط الساعة أكثر ولنأخذ هذا الحديث فقط، عَنْ حُذَيْفَةَ بْن أَسِيد الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: "إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَات - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْن مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَة خُسُوف: خَسْفٌ بِالْمَشْرِق، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِب، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَب، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ" (شرح صحيح مسلم للنووي: ١٨/ ٢٧- ٢٨).

فيقـول: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

هـذه العلامات يمر عليها القرآن سريعاً، لكنها تكفي أولي الألباب، فالأولى واضحة في أن عيسـى -عليه السـلام- هو من أشراط السـاعة، لكن أين هو الآن، وماذا يفعل، وكيف يأتي، وماذا سيفعل بعد مجيئه، كل هذا لم يفصله القرآن، اللهم إلا ما جاء في نفي قتله وصلبه، وأن الله رفعه إليه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ...﴾ النساء.

إلا إن السنَّة فصلت بعض الشيء، ومن هذا قوله ﷺ: (( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[1]، والحديث مُصرِّح بنزوله، وإنه سيكون خليفة للمسلمين يحكم بينهم بالقسط.

وأمـا الثانيـة (خروج يأجـوج ومأجوج) فالقـرآن لم يصف لنا هؤلاء القـوم إلا في قوله تعـالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ الكهف.

هـذه الآيـات تشـير إلى حقائق كثـيرة، فيأجوج ومأجوج أقـوام عريقة، وهـم جاهلون مفسدون، وأن ذا القرنين جعل أمامهم سداً، وأن هذا السد سيُدك يوماً ما، ليموج البعض في البعـض، إيذانـاً بقرب الوعد الحق، وهذا يُغني، ولكن يبقى التسـاؤل الطبيعي: أين هم الآن؟ وأيّ شـعب يمثلون؟ وهل هناك سـد الآن يحول دون شـعب من شـعوب الأرض؟ هـذه الأسـئلة لا يمكن الإجابة عنها أبـداً؛ لأنه غيب محض، والغيـب لا يعلمه إلا الله، ولم يأت عن الله ما يجيب، والسكوت أسلم وأحكم.

---

(١) رواه مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ١٨٩- ١٩٠.

وأما الثالثة (خروج الدابة) فلم أجد القرآن يحدثنا بشيء أكثر من الآية التي مرت، ولم أجد في الصحاح ما يضيف على ما في القرآن، إلا أن الطبري وابن كثير قد أخرجا عددا كبيراً من الروايات في وصف هذه الدابة نختار منها هاتين الروايتين:

**الأولى**: قال ابن جرير: "حدثنا عصام بن روّاد بن الجراح، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوريّ، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حُذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "مِنْ أَعْظَمِ المَساجد حُرْمَةً عَلى اللهِ، بَيْنَما عِيسَى يَطُوفُ بالبَيْتِ وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ، إذْ تَضْطَرِبُ الأرْضُ تَحْتَهُمْ، تُحَرُّكَ القَنْدِيل، وَيَنْشَقُ الصَّفا مِمَّا يَلي المَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أَوَّلُ ما يَبْدُو رأْسُها، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيش، لَمْ يُدْرِكْها طالِبٌ، وَلَنْ يَفُوتَها هارِبٌ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وكافِرٌ، أمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كأنَّهُ كَوْكَبٌ دُرّيّ، وتَكْتُبُ بينَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وأمَّا الكافِرُ فَتَنْكُتُ بينَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ كافِرٌ))[1].

**والثانية**: قال ابن كثير: قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَوْسِ بْنِ خَالِد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( تَخْرُجُ دَابَّةُ الأَرْضِ، وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، فَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْعَصَا، وتُجلي وجه المؤمن بِالْخَاتَمِ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى الْخُوَانِ يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ))[2].

وأما الرابعة: فهي وإن كانت إشارة إلا أنها إشارة واضحة بينة، لا تحتاج إلى شرح أو بيان، وكأن الواقع الآن يسقط تماماً على هذه الآية أو الآية تسقط عليه، فلقد أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها!! نسأل الله السلامة، ولقد جاء من السنة ما يؤكد هذه الإشارة، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (( لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا ))[3]، ومنه أيضاً حديث جبريل المعروف، وفيه: (( وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ

---

(١) تفسير ابن جرير، الطبري: ٢/ ١٥ وقد ذكر روايات كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم تؤكد خروج الدابة من الصفا.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٦٣.

(٣) رواه مسلم، شرح النووي لصحيح مسلم: ٧/ ٩٧.

الْعُـرَاةَ الْعَالَـةَ رِعَاءَ الشَّـاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَـانِ ))[(١)]، وينبغي أن لا ننسـى أن الحديث عن أشراط السـاعة لا تنحـصر فائدتـه في معرفة قرب وقوعها، وإنما في صدق الرسـالة الخاتمة، إذ سـتضيف دليـلاً جديداً إلى الأدلة المتقدمـة، ربما يكون الناس بحاجتـه أكثر يوم أن تموج الفتن، وتضطرب العقول، وينسـى أهل البيان بيانهم، فـلا يعودون يدركون إعجاز القرآن البياني، والله أعلم.

٤- السـاعة: هـي نهاية الدنيا، هي الانقـلاب الكبير الذي لا يلفت منـه أي كائن، هي الخـراب الهائـل الذي سـيعم الكون، وقد تحدَّث القـرآن عن هذا اليوم مـن جوانب مهمة، وكالآتي:

الجانـب الأول: التأكيـد على حتمية وقوعهـا وأنه لا يفلت منها أحد أيّاً كان إلا ما شـاء الله، ولنقرأ:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

﴿...لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ...﴾ [الكهف: ٢١].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[(٢)] [الشورى: ١٧-١٨].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ...﴾ [سبأ: ٣].

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الزمر: ٦٨.

الجانب الثاني: التأكيد على أنها لا يعلم بوقتها إلا الله، وأنها لا تأتي إلا بغتة:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ...﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) رواه مسلم، شرح النـووي لصحيـح مسـلم: ١/ ١٥٨ ورواه البخـاري وغيره بألفـاظ متقاربة انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/ ٢٧٤.

(٢) وفي هذه الآية إشارة إلى قرب وقوع الساعة، ولا شك أن هذا المعنى مقصود لذاته من السياق والحكمة منه واضحة ولكن ما معنى هذا القرب؟ الذي يؤكد القرآن أكثر من مرة: [اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ] الأنبياء، و [اقْتَرَبَتِ السَّـاعَةُ] القمر،... يقول صاحب الظلال: "والزمان في الحسـاب الإلهي غيره في حساب البشر فقـد تمر بين اقتراب السـاعة ووقوعها ملايين السـنين أو القرون، يراها البـشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة" (في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٤).

وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٧].

﴿ ...حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ... ﴾ [الأنعام٣١].

نلاحظ في هذين الجانبين التكامل المقصود الذي يدفع الإنسان نحو العمل الأفضل، وإعمار الأرض بمنهج الله، فالإعلان عن حتمية وقوع القيامة وقربها يدفع الإنسان للخوف من المجهول أو من الحساب، لكن هذا الخوف قد يتأجل إذا علم الإنسان بيوم وقوع القيامة، ولذا فجهالة الإنسان بالموعد مع علمه بحتمية الوقوع كلاهما -أي الجهل والعلم- يقودان الإنسان إلى الخوف المستمر للأداء الأحسن، وهذا يؤكد حقيقة أن عقيدة القرآن عقيدة عملية هادفة .

**الجانب الثالث:** أنها تبدأ بالنفخة، ولنقرأ ما قال القرآن عن نفخة الساعة: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴾ الحاقة. ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ [الزمر:٦٨]، ولكن القرآن لا يعطينا تفصيلاً عن هذا الصور وذاك النفخ، لكن الظاهر أنه صوت الدمار أو جرس النهاية، وحسه في النفس واضح، وإن لم يتخيله الدماغ!!.

**الجانب الرابع:** وصف اليوم الذي هو نهاية الأيام: وقد أكثر القرآن من هذا وحشد المئات من آياته؛ لتكوّن صورة رهيبة لذلك اليوم، وحسبنا أن نضع أكفنا على قلوبنا ونرتل في خشوع:

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴾ [المرسلات: ٧ – ١٠].

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ التكوير.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ الانفطار.

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴾ الواقعة،

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾ الكهف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ الحج.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ يس.

هذه الصور لا تحتاج إلى تفسير وتبيين، إنها شاخصة واضحة، إنها لا تحتاج إلا إلى التأمل والتدبر؛ لتفعل فعلها في النفس والضمير، فماذا يحس من تأمل هذه المقاطع وهذه الآيات؟! لقد تأملها صاحب الظلال، فماذا وجد؟ لنستمع إليه وهو يحدثنا أولاً عن آيات الحاقة: «الآن وقد استعد الحس البشري المحدود لتصور هول الحاقة غير المحدود، الآن وقد تهيأ الحس باستعراض هذه الصور المروعة الطاغية الرابية الغامرة، فقد آن الأوان لاستكمال العرض، وتهيأ الموقف للوثبة الكبرى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ... ﴾، فماذا نرى؟! نرى نوعاً من التناسق الفني العجيب بين الحاقة والقارعة والطاغية والعاتية والرابية والدكة الواحدة والواقعة.. تناسق اللفظ والجرس، وتناسق المناظر التي تخيل للحس أنها جميعاً ثائرة فائرة طاغية غامرة تذرع الحس طولاً وعرضاً، وتملؤه هولاً وروعاً، وتهزه من أعماقه هزاً.

ولن يجد مصور بارع اتساقاً أعظم من اتساق الصيحة العالية الطاغية، والريح الصرصر العاتية، والأخذة القوية الرابية... والنفخة الهائلة الواحدة، والدكة المحطمة المفردة وبين الواقعة والسماء المنشقة الواهية.. إنها كلها من لون واحد، وحجم واحد، ونغمة واحدة، وكلها تؤلف اللوحة الكبرى، وترسم الجو العام الذي أراده القرآن».[1] ثم لننتقل إلى لوحة ثانية،يرسمها وهو يتأمل الآيات الأولى من سورة الانفطار:» عودة إلى مشاهد الطبيعة الهائلة المنقلبة في اليوم العظيم، السماء منفطرة منشقة، والكواكب مبعثرة منتثرة، والبحار فائضة متفجرة، والقبور مبعثرة، هول في السماء والأرض، وحركة عنيفة في الطبيعة، فإذا أفعم الحس، وتفتحت منافذ النفس، أخذ السياق في إيقاظ الوجدان للاتعاظ والاعتبار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾[2] الانفطار.

**٥ - البعث:** وهو الإحياء بعد الموت، وقد مر معنا كيف ناقش القرآن منكري البعث، ولذا يكفي هنا أن نعلم أن عدد المرات التي كرر فيها القرآن لفظ «البعث» الذي هو الإحياء

(١) مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب، ص ١٨٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٤.

للحساب ومشتقاته هو (٣١) مرة، عدا بقية الآيات التي جاء باسم «يوم الخروج» مثلاً أو غيره، ولنتمعن الآن في بعض تلك الآيات:

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن:٧].

﴿ ...وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنعام:٣٦].

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [الحج:٧].

﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ... ﴾ [لقمان:٢٨].

غير أن الذي ينبغي التنبيه عليه هو أن البعث أيضاً يكون بالنفخ، فالنفخ إعلان الموت الجماعي، والنفخ إعلان الحياة الجماعية من جديد فهناك إذاً نفختان، ولنقرأ:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨].

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ يس.

وهكذا ربما يكون الفزع في البعث أشد من الفزع الأول؛ لأنه يوم الحسرة والندم العريض، وانظر كيف صور القرآن حالة الإنسان الخائف الوجل في تلك اللحظات:

﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ المعارج.

٦- **الحشر والجمع**: فبعد البعث تحشر الخلائق، وتجمع في مكان واحد، وهو موقف أرهب من الرهب وأشد من الشدة، ولننظر في هذه الآيات الكاشفة عما يجري في ذلك اليوم:

﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾ الكهف.

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ [إبراهيم:٢١].

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴾ [مريم:٦٨].

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم:٨٥].

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:٩].

٧-الحساب والميزان والصحف: وكلها تعبر عن قضية واحدة هي الحساب العادل بوزن أعمال الإنسان التي ارتكبها في الدنيا والمسجلة عليه في الصحف، ولنقرأ وصف القرآن لهذه الحقيقة الرهيبة:

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:٣٠].

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ الأعراف.

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ الإسراء.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ التكوير.

وربما يشهد مع الصحف جسد الإنسان نفسه، أعضاؤه التي بها عصى الله: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥].

٨ - الجزاء: فما بعد الحساب إلا الجزاء: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ النجم.

وسيكون الناس أصنافاً كثيرة، فمنهم السابقون، ومنهم أهل اليمين، ومنهم العصاة، ومنهم الكافرون، ولكن هؤلاء جميعاً من حيث النتيجة هم إما في الجنة وإما في النار، فلنمتّع أسماعنا وأرواحنا أوّلاً بذكر الجنة وأوصافها:

الجنة: تحدث القرآن عن الجنة كثيراً كثيراً، وهذا بعض من حديثه:

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٦].

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ يس.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ الزمر.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الدخان.

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ الإنسان.

وبعد هذا العرض الشيق لنعيم الجنة، يعرض القرآن لنوع آخر من أنواع النعيم، إنه نعيم السمر مع الإخوان والأحباب وذكريات الماضي، يا لها من لحظات!..، يقول القرآن متمماً صورة النعيم الأبدي: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ الصافات.

يقول سيد قطب -رحمة الله- معلقاً على هذه الآيات: «فنرى عباد الله المخلصين هؤلاء بعد ما يسرت لهم كل هذه المتع، ينعمون بسَمر هادئ، يتذاكرون فيه الماضي والحاضر ... وها هو ذا أحدهم يستعيد ماضيه، ويقص على إخوانه طرفاً مما وقع له، لقد كان له صاحب يكذب باليوم الآخر، وكان يحاوره ويسائله... وبينما هو ماض في قصته يخطر له أن يتفقد صاحبه هذا ليعرف مصيره... فهو يقف ليتطلع ويوجه نظر إخوانه إلى حيث يتطلع.. عندئذ

يترك إخوانه، ويتوجه إلى صاحبه الذي وجده في وسط الجحيم، يتوجه إليه ليقول: يا هذا لقد كدت توردني موارد الردى بوسوساتك لولا أنَّ الله قد أنعم عليّ فلم أستمع إليك»[1].

ثم تكتمل الصورة أكثر بمشهد له أكثر من معنى ومغزى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ المطففين.

اللهم لا تحرمنا الجنة ولا تحرمنا فيها من النظر إلى وجهك الكريم.

النار: وتحدث القرآن عن النار كثيراً كحديثه عن الجنة، وهذا بعض حديثه:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ الزمر.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦ – ٣٧].

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ غافر.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ الملك.

يا لطيف من هذه الصور القاتمة البائسة: زمر إلى جهنم، وتأنيب وتقريع، وصراخ وحسرة وندم، وأغلال وسلاسل، وسحب وسجر، ثم ماذا؟ جهنم كأنها مخلوقة حية تحس وتشعر، وتغتاظ وتحقد على هؤلاء المساكين التعساء!! «تكظم غيظها فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور، ويملأ جوانبها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم، وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين»[2].

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب ١٣٤، ١٣٥

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب:٦/ ٣٦٣٤

ولا تكفي هذه الصور[١] حتى يعرض القرآن صورة أخرى، صورة واخزة مؤلمة: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ سبأ.

ولما لم ينفع هذا الخصام والجدال توجه الضعفاء إلى ربهم بما يشبه الاعتذار: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧ – ٦٨]، وقالوا له: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ – ١٠٧]، فيأتي الرد حاسماً سريعاً: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، الله أكبر، أي عذاب هذا؟!! فرحمتك يا رب!.. ثم ماذا؟ يأس لا مثيل له، يأس يدفعهم إلى طلب الموت، إنهم هنا يشتاقون إليه!! يا للهول!!.

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧]، اللهم أعذنا من عذابك وحجابك وغضبك.

وبعد ذكر الجنة والنار لا بأس بالتعريج على موضع في الآخرة بين الجنة والنار، تحدث عنه القرآن في سورة واحدة، وسميت السورة باسمه (الأعراف)، يقول القرآن بعد ذكره لأهل الجنة والنار: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف، والنص واضح في التعريف بالمكان، إنه مشرف على الجنة والنار، وأن عليه رجالاً يعرفون الفريقين، لكن من هؤلاء الرجال؟ لم يحدد القرآن هويتهم؟ ولم أجد من السنة حديثاً يرقى إلى درجة الصحيح يبين حال هؤلاء، إلا أن ابن كثير – رحمه الله – مع ما جمع من الأحاديث الغريبة ونحوها قال: «واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم

---

(١) لقد اهتم كثير من الكتاب بعرض الصور وترتيبها بحسب تسلسلها في النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة، وممن أجاد في هذا: عبد الملك علي كليب، انظر: كتابه «أهوال القيامة» ١٠٧–١٢٠.

استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله[١]، وقصد ابن كثير هنا الأغلب، إذ أورد نفسه بعد هذا أقوالاً لمفسرين من السلف والخلف تخالف هذا القول، والله أعلم، ولو كان في تحديد هويتهم نفع لنا لجاء في القرآن، وربما كان الإبهام مقصوداً، وذكرهم هنا لا ليطلعنا الله على هويتهم، وإنما ذكرهم لاستكمال صورة النعيم والعذاب، والحوار الدائر بين أهل الجنة وأهل النار[٢].

**٩- الشفاعة:** يجدر بنا أن نُدخل هذه المسألة ضمن هذا البحث، لا سيما بعد ورود الخلاف فيها بين المتكلمين، فما حقيقة الشفاعة في القرآن؟ وما مدى اهتمام القرآن بها؟ وما موقعها في عقيدة المسلمين؟ سنحاول الإجابة على كل هذا من خلال النقاط التالية:

أ- تحدث القرآن عن "الشفاعة" التي كانت قرينة الشرك، أو بالأجدر مستند الشرك، حيث كانت فلسفة الشرك قائمة على أساس "الوسطاء والشفعاء": ﴿ ...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وقد تحدث القرآن عن إبطال هذه الشفاعة بهذه الآيات:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣].

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

وبعد هذا حكم القرآن على هذه الشفاعة بأنها لا تنفع: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس: ٢٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٧.

(٢) يقول سيد قطب رحمه الله: "ثم نحن أولاء أمام الأعراف -الفاصلة بين الجنة والنار وعليها رجال يعرفون هؤلاء وهؤلاء، فهم يتوجهون إلى أصحاب الجنة بالترحيب والسلام، ويتوجهون إلى أصحاب النار بالتبكيت والايلام ... تلك من صور القيامة، ومن صور الحوار فيها والخصام ومن صور النعيم فيها والعذاب" (التصوير الفني في القرآن، ص ٥٥).

ويصف القرآن حال المشركين واضطرابهم، فهم هناك يسقط بأيديهم،فيبحثون عن شفعاء يشفعون لهم، وانظر كيف يصور القرآن حالتهم:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣ ].

ب- نفى القرآن الكريم بنحو(١٠) آيات وجود الشفاعة في اليوم الآخر، وهذه بعضها:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ... ﴾ [البقرة: ٤٨].

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ... ﴾ [الأنعام: ٥١] .

﴿ ...وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٩ – ١٠٠].

ج- أثبت القرآن الشفاعة لبعض خلقه بنطاق ضيق ومحدود، وعلى سبيل الاستثناء في نحو(٨) آيات، وهذه أمثلة منها:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٧ – ٢٨].

﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧].

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

لا يبـدو غموض كبير في هذا التعارض الظاهـري بين النصوص، فليس في آيات إثبات الشـفاعة آيـة إلا وهي مرتبطـة بالنفي المتقـدم والاسـتثناء العقيب، والاسـتثناء تخصيص، ومعنى هذا أن النفي هو الأصل وهو الأغلب، والإثبات اسـتثناء وتخصيص، لكن القرآن لم يبين لنا أصناف الشـفعاء، ولا أصناف المشـفع لهم إلا بطريـق الإجمال، ولذا فمن الممكن أن يسـأل الإنسـان وهـو أكثر شيء جـدلاً: ما هي الذنـوب التي من الممكن أن يشـفع فيها الشـفعاء؟ أو هل الشفاعة لأهل الحسـاب للإسراع في حسابهم، أم لأهل النار لإخراجهم، أم لأهل الجنة لإعلاء منازلهم؟

الذي يظهر أن القرآن هدف إلى قضية عملية، فقد أراد من عبدة الأحجار أن يفكروا أن هـذه الأحجـار لن تنفعهـم في الدنيا، ولن تنفعهم في الآخرة، وأراد مـن المؤمنين أن يعملوا ويجدوا، فالأصل: أن لا شـفاعة، بـل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]. ثم يتلطف القرآن بهم ليدفعهم إلى العمل والجد أيضاً، ولكن بطريق الترغيب فيأتي الاسـتثناء بتحفظ ليحافظ المؤمن على الموازنة المطلوبة.

ثـم لا يغيـب عـن المتأمـل ذلك الـود الـذي يعقده القـرآن بـين المؤمنين وبـين أولئك الصفـوة، إنـه ود يقود إلى الحياء مـن مخالفتهم أو التنحي عن ركبهـم، أنّ محمداً ﷺ الذي سـينادي غداً: (يا رَبّ أُمَّتي)[1] سـتحبه أنت الآن من أعماق قلبك، وسيقودك هذا الحب إلى الإتباع حتماً. من كل هذا يتبين أن موضوع الشـفاعة جاء في القرآن بقدر ما يثمر عملاً صالحـاً، والله أعلـم.



(١) أورد البخـاري في صحيحـه عن النبي ﷺ أنه قال– من حديث طويل–: ((فَأَسْـتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِد، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ،...)) ( فتح الباري ): ١٣/ ٤٧٣، اللهم فشفع فينا نبينا، وأدخلنا معه جنتك.


اليوم الآخر في القرآن: حجر الزاوية في العقيدة الإسلامية
مظاهر اهتمام القرآن بالإيمان به
أدلة وجوده ومناقشة المنكرين
وصفة الإجمالي (أسماء اليوم الآخر)
تفاصيل أحداثه (دافعة للعمل الصالح)
كثرة ذكره
ذكر الإيمان به عقيب الإيمان بالله في الغالب
شمولية الحديث عنه
دليل الخلق
دليل الحس
دليل الملك
لقطات مصورة لليوم الآخر تدفع الإنسان للإلتزام
الموت
القبر والبرزخ
أشراط الساعة
الساعة
البعث
الحشر والجمع
الحساب والميزان والصحف
الجزاء
الجنة
النار
الشفاعة

## المبحث الثاني
## الملائكة

الملائكـة عـالم آخر غير العالم البشري، فلـماذا يحدثنا عنهم القرآن الكريم؟ بهذا السـؤال يُقَدَّم هذا المبحث لقارئه، ذاك لأننا أكدنا دائماً على أن العقيدة القرآنية عقيدة عملية، لا ينتج عن فهمها والإيمان بها إلا ما ينفع المسلم في دنياه وآخرته، ولذا فمن خلال العرض الموجز للموضـوع هـذا في القرآن الكريم، سـيبيّن أن القرآن لن يخرج عن منهجـه العام في العقيدة ولنر هذا المنهج من خلال النقاط التالية:

١- ذكـر القرآن "الملائكة" بهذا اللفـظ، أو بالمفرد، أو المثنى نحو (٨٨) مرة، وحينما نرى الآيـات التـي وردت فيها هـذه الألفاظ نتأكـد أن القـرآن لم يحدثنا عن الملائكة سـدى ولا للتصرف الفكري، فلنتسلسل مع النقاط.

٢- تحـدث القـرآن عن الإيمان بالملائكة (٣) مرات فقط، كـما في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣- تحـدث القـرآن عـن قضيـة الخلـق الأولى، أي خلق آدم، يـوم أن لم يكن مـع آدم إلا الملائكـة، تحـدث عنهم القرآن بنحـو (١١) مرة، وكلها جاءت لتكريم الإنسـان، والإيذان بخطـورة مهمته عـلى هذه الأرض، ولنقـرأ هذه الآية فقـط: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٤].

٤- وتحـدث القـرآن عـن أن الملائكـة ليسـوا آلهة، بـل هم يؤمنـون بالله ويسـجدون له ويعبدونـه، فـلا تجوز عبادتهم أبداً، وجـاء ذكر الملائكة في هذا الموضـوع بنحو (٩) مرات، وهـذه بعـض الأمثلـة: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ... ﴾ [الرعد: ١٣].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٤٩ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ... ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١]

٥- ردّ القرآن على تصورات المشركين ومواقفهم الخاطئة المتعلقة بالملائكة، وقد أخذ هذا الموضوع من إحصائية عدد«الملائكة» في القرآن حصة الأسد، حيث تكرر لفظ الملائكة هنا بنحو (٢١) مرة.

ومن أقوالهم التي ردها القرآن: قولهم أن النبي لابد أن يكون مَلَكاً أو يأتي معه ملك، وقد ردّ القرآن هذا بنحو(١٧) مرة، ولنقرأ مثلاً:

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧ ].

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٨ – ٩].

ومن تصوراتهم الخاطئة قولهم: أن الملائكة إناث، وهذا رجم بالغيب، وجاء القرآن ليبين كذبهم وتخبطهم، لا ليشرح حقيقة جنس الملائكة، ولهذا لم يستغرق الرد عليهم إلا بهذا القدر ـ مقدار تبيين كذبهم وتخبطهم ـ وفي هذا تحطيم للفكر الوثني الذي كان يقف بوجه الدعوة المباركة، وجاء الرد في (٤) مواضع، منها:

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠].

٦- تأييد الملائكة للمؤمنين، فهم وان كانوا عالماً غيبياً إلا أن الله كما أمرهم بالسجود لآدم –عليه السلام–، يأمرهم أن يمدوا المؤمنين ويساندوهم، وفي هذا من النفع والخير للمؤمن وهو يحمل دعوة الله ويجاهد أعداءه ما لا يحصى، فإذا ضاقت الأرض عليه وكان

الطغاة أكثر نفيراً فان المؤمن معه أصدقاء أشـداء لا يعصون الله ما أمرهم، وقد ذكر القرآن الملائكة لهذا الغرض بنحو (٧) مرات، ولنقرأ هذه الأمثلة:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٦].

ليس هذا فقط بل هم يدعون للمؤمنين، ويصلون عليهم، ويستغفرون لهم ولنقرأ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾ [الأحزاب: ٤٣]

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧ - ٩]

٧- ذكر بعض الأعمال التي يقوم بها الملائكة في الدنيا والتي لها علاقة بالإنسان ومهمته، وجاء ذكر الملائكة لهذا الغرض بنحو (١٥) مرة ومنه:

أ- الوحي عن طريق الملك: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

ب- تسجيل الأعمال التي يقوم بها الإنسان خيراً أو شراً: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

ج- قبض الأرواح عند الموت: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١]، و﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣].

٨- ذكر دورهم في الآخرة، وقد جاء لفظ "الملائكة" لهذا الغرض بنحو (١٣) مرة، وللقرآن غاية واضحة من إخبارنا بذلك، ولننظر في هذه النماذج الثلاثة التي يقدمها القرآن

الكريم عن دور الملائكة في ذلك اليوم:

**النموذج الأول:** دور عام من شأنه أن يلقي في النفوس الهيبة والرهبة، ولنقرأ:

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٥ – ١٨].

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١ – ٢٢].

**النموذج الثاني:** دور خاص بالمؤمنين يزيدهم الله فيه أنساً وحبوراً، ولنقرأ:

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

**النموذج الثالث:** دور خاص بالكافرين والظالمين يزيدهم الله فيه بؤساً و حسرة، ولنقرأ:

﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١].

هذه النقاط تشكل الصورة المتكاملة التي أراد أن يقدمها القرآن لهذا الإنسان، إنها صورة لا تحكي الكُنْه الغيبي، ولا تجيب على أسئلة الباحثين في عالم الفلسفة، وما وراء الطبيعة، وإنما صورة لكل ما يحتاجه الإنسان من معرفة عن ذاك العالم الغيبي في أداء وظيفته الكبرى على هذه الأرض، ولهذا حدثنا القرآن كثيراً عن الملائكة، ولكن ليس في حديثه هذا كله آية واحدة عن جنس الملائكة من حيث حقيقتهم الخَلْقية أو الاجتماعية، ولم يقل لنا: هل الملائكة يتناسلون؟ وهل يأكلون ويشربون؟ وهل ينامون؟ ولا نحو هذا[1]، بل ولم يرد في

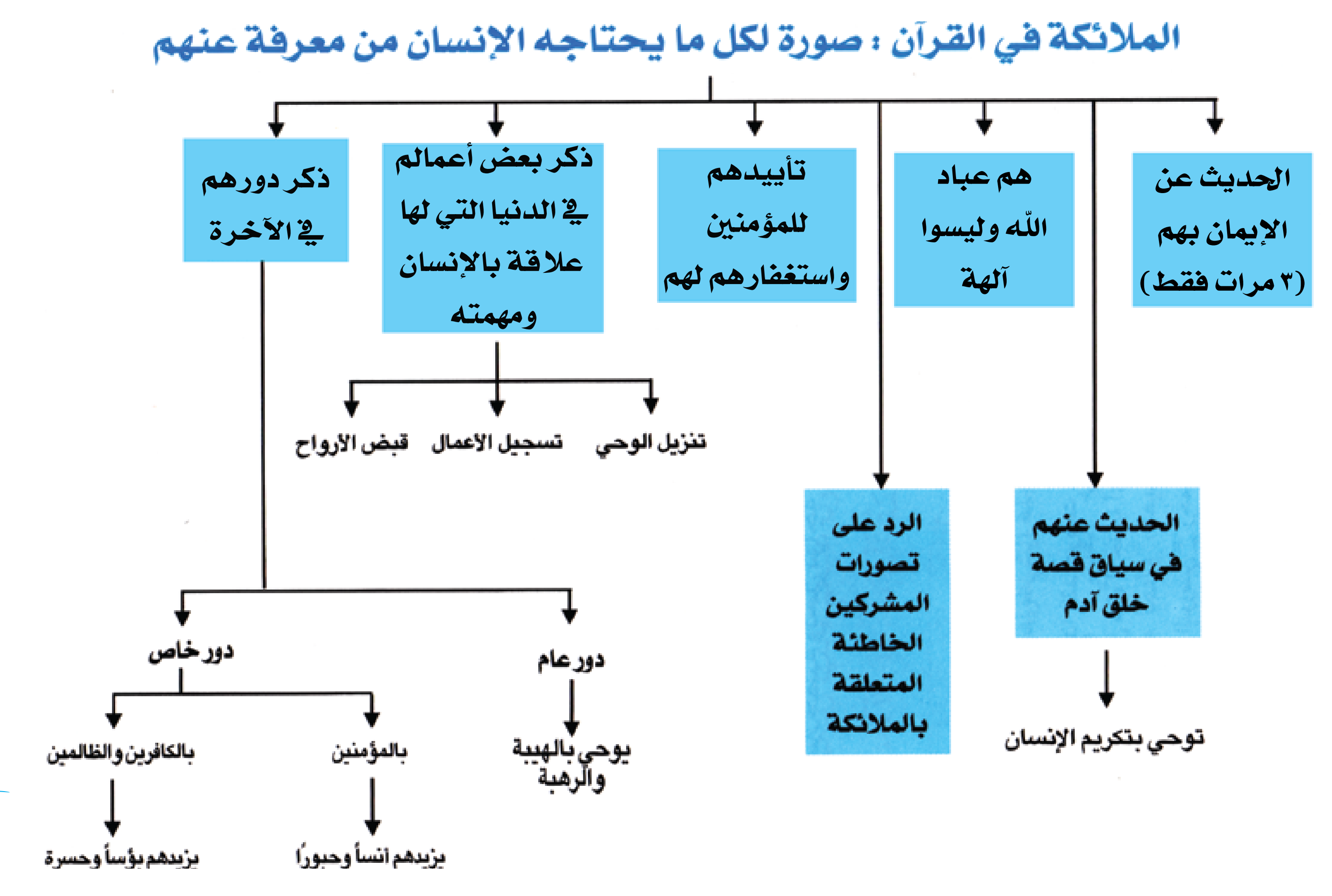
(١) إلا اللهم في قوله تعالى: [الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [فاطر: ١] هذه الآية الوحيدة في القرآن التي تحدثت عن صفة خلقية للملائكة، ومع هذا فقد عرضت عرضاً سريعاً لغاية واضحة وهي الإشارة

القرآن الاستدلال على وجود الملائكة ومناقشة المنكرين ونحو هذا، ربما لأنه لا يوجد في المجتمع الذي نزل فيه القرآن من ينكر الملائكة، فالمشركون يؤمنون بالملائكة[1]، ولكن قد يكون منهج القرآن ذا مدى أبعد، إذ من الممكن القول: إن الإيمان بوجود الملائكة لا قيمة له إن لم يسبقه إيمان بالله ورسوله وكتابه، إذا صح الإيمان بالله والرسول والكتاب فإن الإيمان بالملائكة تحصيل حاصل، ولذا كرس القرآن أدلته لإثبات تلك الأصول، لقد رأينا إسهاب القرآن في إثبات وحدانية الله وصدق رسوله وإعجاز كتابه، فهذه هي القنطرة، فمن آمن بهذا آمن بكل ما ورد في كتاب الله بالضرورة، ومن لم يؤمن بهذا فلا داعي لمحاولة إقناعه بأخبار وردت في الكتاب، إذ لا قيمة لإقناع هؤلاء بالملائكة، ولا بعفريت سليمان، ولا بعصا موسى.. الخ، وهذا المنهج ينبغي ملاحظته ونحن نواجه الفلسفات الحديثة.

❋ ❋ ❋

إلى قدرة الله تعالى، ولم يفصل لنا القرآن عن هذه الأجنحة أي شيء.

(١) بل يذهب الشيخ سعيد النورسي - رحمة الله - إلى أبعد من هذا، فيقرر الإجماع على وجود الملائكة، فيقول تحت عنوان (الإجماع الضمني على حقيقة الملائكة): «يمكن القول بأن هناك إجماعاً ضمنياً -مع تباين التعبير- على وجود حقيقة الملائكة .. فلم ينكر معنى الملائكة حتى المشاؤون من الفلاسفة الإشراقيين الذين أوغلوا في الماديات إذ عبروا عن معنى الملائكة بقولهم: إن هناك ماهية مجردة روحية لكل نوع. والآخرون من الإشراقيين عندما اضطروا لقبول معنى الملائكة أطلقوا عليها- خطأ - العقول العشرة وأرباب الأنواع» (الملائكة ص:٢٠).


الملائكة في القرآن: صورة لكل ما يحتاجه الإنسان من معرفة عنهم
الحديث عن الإيمان بهم (٣ مرات فقط)
هم عباد اللّه وليسوا آلهة
تأييدهم للمؤمنين واستغفارهم لهم
ذكر بعض أعمالهم في الدنيا التي لها علاقة بالإنسان ومهمته
ذكر دورهم في الآخرة
الحديث عنهم في سياق قصة خلق آدم
توحي بتكريم الإنسان
الرد على تصورات المشركين الخاطئة المتعلقة بالملائكة
تنزيل الوحي
تسجيل الأعمال
قبض الأرواح
دور عام
يوحي بالهيبة والرهبة
دور خاص
بالمؤمنين
يزيدهم أنساً وحبوراً
بالكافرين والظالمين
يزيدهم بؤساً وحسرة

## المبحث الثالث

## الجن

الجـن عالم غيبي آخر، وربما يستعدي الإخبار عنهم السؤال نفسه الـذي واجهنا عند حديثنـا عن الملائكة، لماذا يخبرنا القرآن عن الجن؟ وما وجه الحاجة إلى هذا وعقيدتنا عقيدة عملية ميدانية؟!! وقبل الإجابة يحسن بنا تقسيم هذا المبحث إلى قسمين وكالآتي:

### القسم الأول: الحديث عن الجن بصورة عامة:

والقـرآن هنـا يتحدث عـن قوم خلقهـم الله كما خلقنا، وفيهـم كثير من الطبـاع التي في الإنسـان، وأنهم مكلفون أيضاً بما كلف به الإنسـان من عبادة ودعوة.. الخ، وسيحاسـبون كما سنحاسـب لأن منهـم الصالحون ومنهم الطالحون، وأن بعـض الناس يتصورون عنهم تصـورات خاطئـة وقد ردها القرآن، هذا تقريباً مجمل حديـث القرآن عن الجن الذي تكرر فيه لفظ الجن أو الجان ونحوها (٣٤) مرة، ولنفصل الآن الإجمال وباختصار:

١- تحدث القرآن عن خلق الجن، وقد تكرر لفظ الجن لهذا المعنى مرتين فقط، وهما:
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٧].
و﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّـارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤- ١٥ ].

٢- وتحدث عن أوجه الشبه والمشاركة المتعددة بين الإنس والجن في الكثير من القضايا، وهذه النقطة قد أخذت من إحصائية لفظ "الجن" حصة الأسد حيث بلغت أكثر من (٢٠) مرة، ولنأخذ أوجه الشبه والمشاركة:

أ- إنهم خلقوا لعبادة الله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].
ب- إنهم لا يعلمون الغيب: ﴿ ...فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].
ج- إن منهم الصالحون والطالحون: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١]، و﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ... ﴾[الجن: ١٤].

د – إن منهم الدعاة إلى الله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ... ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

هـ – إن منهم دعاة إلى الشر والرذيلة والكفر، وهم شياطين الجن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢ – ١١٣]، هذا وسنفصل الحديث عن الشياطين بالقسم الآتي أن شاء الله .

و – إنهم مشمولون بالتحدي مع الإنس على أن يأتوا بمثل القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ز – إنهم لا يستطيعون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

ح – إن لهم القدرة على الصناعات ونحوها: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٢ – ١٣].

ط – إن لهم شهوة كالإنس: ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦ ].

ي – أنهم سيحاسبون يوم القيامة كالإنس فإما الجنة وإما النار:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨ - ١٣٢].

**وردّ على بعض تصورات المشركين الخاطئة عن الجن ومنها:**

أ- الاستعاذة بهم لاعتقاد أنهم يفعلون ما يشاءون: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦ ].

ب- عبادتهم من دون الله، وهذه تابعة للأولى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤١ - ٤٢].

ج- إنهم جعلوا بين الله وبين الجنَّة نسباً: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الصافات[1].

وهكذا يتحدث القرآن عن شعب غيبي يحمل كثيراً من طبائع الإنس، وأنه يخوض تجارب كثيرة في ميادين الصراع بين الحق والباطل، وأن المسلم من الممكن أن يتعظ من هؤلاء وأن يستفيد من تجاربهم، مادام أن الساحة هي الساحة، والواجب هو الواجب، والصراع هو الصراع!! وكما أن القرآن يخبرنا عن أقوام سالفين لسنا نراهم: عاد وثمود وفرعون، وبمقابلتهم المؤمنون، ليكون لنا في قصصهم عبرة، فما المانع أن يحدثنا القرآن عن هؤلاء، وهم أقدم في الخلق وأكثر في العدد؟!! وعلى هذا جاء حديث القرآن عنهم بهذا المنظار ولهذه الغاية، والله أعلم[2].

## القسم الثاني: إبليس والشياطين:

ولنبدأ بإبليس، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم (١١) مرة، تسعة منها تذكره عند الحديث عن قصته مع آدم عليه السلام، والاثنتان عن أتباع إبليس ومصيرهم، هذه كل المسألة، ولو

---

(١) واختلف المفسرون في النسب هنا، فقال بعضهم: إن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله وأن أمهات الملائكة من الجن!! وروي عن ابن عباس في تفسيره للآية أنه قال:» زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان!!!» (تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٤).

(٢) بإسهاب تحدث الأستاذ محمد عزة دروزة عن حاجة الإنسان لاسيما في ذلك الزمان إلى فهم الجن، وتصحيح كثير من المفاهيم التي كانت سائدة في هذا المضمار، انظر: «القرآن والملحدون» ص٢٠٣- ٢١٠ .

أردنا أن نقف بعض الشيء عن قصته مع أبينا، فإنا سنجد القرآن يعرض حقائق كبيرة لا يمكن لابن آدم إلا أن يقف عليها ويتأملها، وهذه أولاً القصة، ومن موضع واحد في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ – ١٨].

هذه القصة المتكررة هي التي تكرر معها ذكر إبليس(٩) مرات من أصل(١١) مرة يذكر اسمه في القرآن، ولعل المرتين الباقيتين لا تبتعدان عن هذه القصة، فالعهد الذي قطعه إبليس على نفسه في غوايته لبني آدم نفذه، قال الله عنه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

ووفى الله تعالى بوعيده أيضا، فقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤ – ٩٥].

وفي غير هذه المواضع لم يذكر القرآن اسم "إبليس"، فإبليس إذاً يمثل حقيقة هائلة بالنسبة للإنسان، إنه مشعل فتيل الحرب التي كتب الله علينا أن نخوضها على هذه الأرض، وأنه سيكسب في معركته هذه جنوداً، وأن المعركة ستزداد حدة وضراوة، لهذه الحقيقة جاء ذكر إبليس، إنه لم يتحدث عنه لشيء آخر، وهكذا تتأكد جدية العقيدة القرآنية في الواقع الميداني.

والقرآن يشير إلى أصل الفتنة... إنه "التكبر"، وكأنه يريد أن يحذر بني آدم مرتين: الأولى: أن لا يتكبروا فهذه خطورة الكبرياء الباطل، والثانية: أن الطغاة المتكبرين هم تلاميذ إبليس وجنوده.

ويشير أيضاً إلى أن الطبيعة التي أنتجت الكبر والخطيئة هي ليست طبيعة ملائكية، وإنما هي طبيعة كثيرة الشبه بطبيعة الإنسان، إن إبليس من الجن[1]، قال القرآن في هذا الموضع: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ...﴾، وقد مر

(١) انظر: «القرآن والملحدون» ص٢٠٨ مع الهامش.

معنا أوجه الشبه بين الجان والإنسان فليحذر الإنسان!!.

وأما الشياطين فقد ذكرهم القرآن الكريم(٨٨) مرة، ومن الملفت للنظر أن يتطابق هذا العدد تماما مع عدد الملائكة في القرآن الكريم[١]، وإذا أردنا أن نتعرف على هذا العالم من خلال القرآن الكريم، فلننظر في هذه النقاط:

١- إن لفظ الشيطان قد يطلق ويراد به إبليس نفسه، يقول القرآن:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

وإنه قد يطلق ويراد به صنف من الجن تبعوا إبليس في غوايته، أو أنهم أبناؤه، والمهم أن إبليس لم يبق وحده في الجن بل أصبحوا جمعاً، ولذا بدأ القرآن يتحدث عن الشيطان بصيغة الجمع في كثير من المواضع، فتراه يقول مثلاً: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧] ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾[مريم:٦٨]، وانظر النقطة الثالثة:

٣- وإنه قد يطلق ويراد به صنف من الإنس!! أولئك الذين خانوا قضية الإنسان، قضية آدم، فالتحقوا بركب الشيطان عملاء، يقول القرآن: ﴿ ...شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

٤- وإن الشيطان مهمته الأولى هي الغواية، والصد عن سبيل الله، وتزيين الباطل، حتى لا يكاد أن يكون هناك أي نوع من أنواع المنكر إلا والقرآن ينسبه إلى الشيطان، ولنقرأ هذه الأمثلة:

---

(١) وهذه الالتفاتة سبقنا إليها الدكتور فاضل السامرائي، ونقدم للقارئ الكريم قطعة من كلامه «أفلم تقرأ الإحصاءات الأخرى في كتاب الله العزيز لترى العجب؟! لقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثاً ولا من غير حساب بل هي موضوعة وضعاً دقيقاً بحساب دقيق، دقيق، لقد تبين: أن «الدنيا» تكررت في القرآن الكريم بقدر «الآخرة»، فقد تكرر كل منها (١١٥) مرة، وأن «الملائكة» تكررت بقدر «الشياطين»، فقد تكرر كل منهما (١٤٥) مرة، وهل الموت إلا للإحياء، وأن «الصيف والحر» تكررا بقدر «الشتاء والبرد»، فقد تكرر كل منهما (٥) مرات، وأن لفظ «السيئات» ومشتقاتها تكرر بقدر «الصالحات» ومشتقاتها، فقد تكرر كل منهما (١٦٧) مرة .. وتكرر لفظ «كفراً» بقدر لفظ «إيماناً»، فقد تكرر كل منهما (٨) مرات، وأنه تكرر لفظ «إبليس» بقدر لفظ «الاستعاذة»، فقد تكرر كل منهما (١١) مرة .. وأن لفظ «الشهر» تكرر (١٢) مرة بعدد شهور السنة» (التعبير القرآني ص١٥، ١٦).

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾ [البقرة: ٣٦].

﴿ ...إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ... ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ... ﴾ [المائدة: ٩١ ].

﴿ ...مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ... ﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾ [المجادلة: ١٠].

٥- وإن الشيطان قد يستعين على عمله هذا بالنسيان، فحينما ينسى الإنسان ربه أو ينسى حقيقة المعركة التي يخوضها قد يقع في فخ الشيطان، ولذا جاءت آيات كثيرة تنسب النسيان إلى الشيطان، ولنقرأ مثلاً:

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨ ].

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢ ].

﴿ ...فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ... ﴾[الكهف: ٦٣ ].

٦- وإن الشيطان له حزب وله أولياء، وإن واجبنا استشعار عداوتهم وقتالهم:

﴿ ...أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩ ].

﴿ ...فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

٧- الأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ... ﴾ [فصلت: ٣٦].

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

﴿ ...وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦ ].

٨- وإن الشيطان قد يعمل عمل الإنسان في الصناعات وغيرها:

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[الأنبياء: ٨٢ ].

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٦ – ٣٨].

٩- وإن الشيطان قد يمس الإنسان ويتركه دون وعي:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، لكن القرآن لم يبين حقيقة المس، ربما لأنه معروف، والله أعلم.

١٠- وأخيراً فالقرآن يرسم النتيجة الطبيعية للشيطان وحزبه:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ، اللهم أعذنا من الشيطان ولا تخزنا يوم يبعثون.

وفي ختام هذا المبحث أود التنبيه إلى أن اهتماماً غير معتاد طرأ حديثاً حول مسألة "الجن" وعلاقتهم بالإنسان، ولا أدري بالضبط الدوافع الحقيقية، ولكني أدعو إلى دراسة هذه الظاهرة الواسعة دراسة جادة، لاسيما أني رأيت كثيراً من أهل العلم قد انجرّوا وراءها، وخذ مثلاً على هذا عشرات الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، مثل كتاب "حوار صحفي مع جني مسلم" يدّعي فيه المؤلف أنه قابل واحداً من الجن، وأنه أجرى معه حواراً طويلاً واستطاع من خلال الحوار أن يكشف حقائق هامة، منها أسرار مثلث برمودا الذي حيّر الناس حيث اكتشف هذا أن المثلث عبارة عن عرش إبليس الأكبر[1]!!! ثم يطالعنا آخر بعنوان "العلاج الرحماني للسحر والمس الشيطاني"، ثم يصدر الشيخ عبد العزيز القحطاني كتابه الموسوم "طريق الهداية في درء مخاطر الجن والشياطين"، ثم الشيخ عبد السلام عبد الواحد في كتابه " عالم الجن والشيطان"، وغير هذا كثير[2]، هذا بالإضافة إلى أشرطة التسجيل التي تتحدث عن هذا الموضوع بل منها ما يسجل حواراً بين أحد الشيوخ والجني الداخل في جسد إنسان آخر، ولقد سمعت شريطاً تتحدث فيه امرأة تدعي أنها من الجن واسمها "مرجانة"، وفتحت كثيراً من عيادات الاستطباب من المس.

إن هذا الموضوع جدير بالدراسة، ولست أريد هنا إلا الإشارة إلى أن هذه المساحة من الاهتمام لا تتناسب مع المنهج القرآني، فالقرآن لم يتحدث عن الجن من هذا المنظار، اللهم إلا في آية واحدة جاءت في معرض التشبيه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥].

ثم أمامنا سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان، نعم قد ترد حادثة واحدة في الجيل الواحد أو أكثر قليلاً، أما بهذا الكم الملفت للنظر فهذا غير طبيعي، ولا ريب أن هذا يتعارض مع قول الله تعالى: ﴿...إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

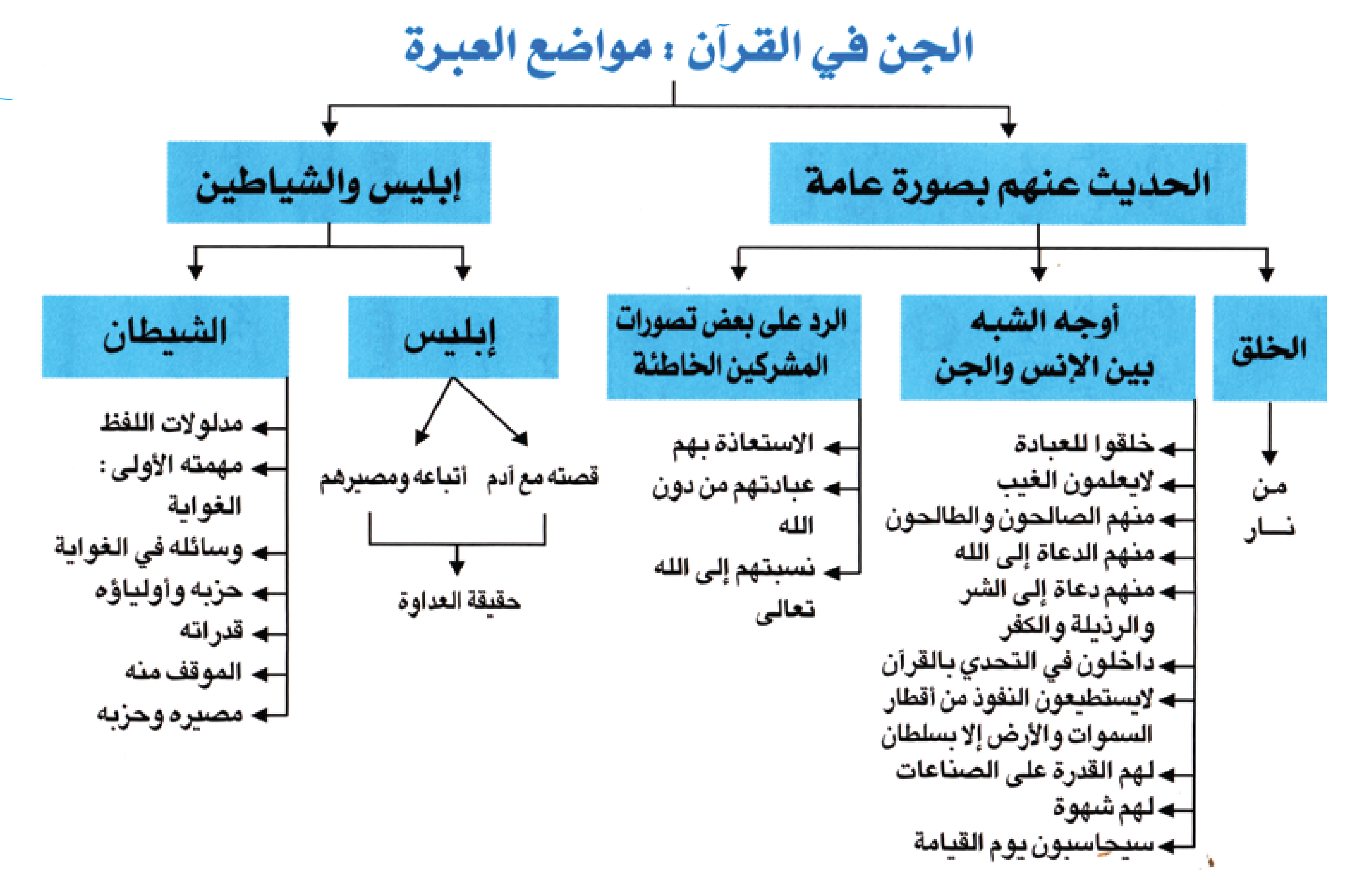
---

(١) «حوار صحفي مع جني مسلم» ص٧٨ .

(٢) وأغلب هذه الكتب صدر خلال هذا العقد ! .

[النساء: ٧٦] ، فإذا كان الشيطان باستطاعته أن يدخل في أجساد الآلاف من المسلمين ويغير نمط تفكيرهم ويخلط الأوراق عليهم فأي قوي يستطيع ذلك؟!!! ثم انظر إلى قوله تعالى حاكياً مقولة الشيطان يوم القيامة: ﴿...وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾[إبراهيم: ٢٢]، و «إلا» بعد «ما» تفيد الحصر، فالشيطان يملك الدعوة والتزيين والوسوسة، أما أنه يملك أن يتصرف بإرادة الآلاف من البشر فهذا بعيد عن حكمة الله، وليس معنى هذا إنكار المس ولكن لو وقع فإنه ليس بهذه الكثرة المريبة، وإن القضية ما زالت دعوة للدراسة لا غير، والله أعلم، أما تصديق الجان حين يخبر عن أشياء في عالم الغيب أو عالم الشهادة فهو باطل، وقد أثار كثيراً من المشاكل الاجتماعية، واتُّهم أناس بالسحر والسرقة والقتل بناءً على نطق الجان أثناء عملية المعالجة، وهذا كله ليس من شرع الله في شيء .

❊ ❊ ❊


الجن في القرآن : مواضع العبرة
الحديث عنهم بصورة عامة
إبليس والشياطين
الخلق
من نار
أوجه الشبه بين الإنس والجن
خلقوا للعبادة
لايعلمون الغيب
منهم الصالحون و الطالحون
منهم الدعاة إلى الله
منهم دعاة إلى الشر و الرذيلة و الكفر
داخلون في التحدي بالقرآن
لايستطيعون النفوذ من أقطار السموات و الأرض إلا بسلطان
لهم القدرة على الصناعات
لهم شهوة
سيحاسبون يوم القيامة
الرد على بعض تصورات المشركين الخاطئة
الاستعاذة بهم
عبادتهم من دون الله
نسبتهم إلى الله تعالى
إبليس
قصته مع آدم
أتباعه ومصيرهم
حقيقة العداوة
الشيطان
مدلولات اللفظ
مهمته الأولى : الغواية
وسائله في الغواية
حزبه وأولياؤه
قدراته
الموقف منه
مصيره وحزبه

## الخاتمـة

وفي ختام هذا المجهود، بودّي أن أقدم هذه الخاتمة التي تتضمن خلاصة مختصرة مع أهم الاستنتاجات، ومن خلال المحورين الآتيين:

### المحور الأول: مفهوم العقيدة ومنهج القرآن في عرضها:

أولاً: تمثل العقيدة الإسـلامية إجابة الإسلام على الأسئلة الثلاثة الخطيرة التي حيرت الفلاسـفة مـن القدم[1]: من أوجد الإنسـان؟ ومـا الغاية من وجـوده؟ وإلى أين المصير؟ فجـاءت أجوبـة الإسـلام واضحة جلية: الله خالق الإنسـان والكـون أجمع: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ... ﴾ [الزمـر: ٦٢]، والغاية مـن الخلق هي عبادة الله وحده، ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذه وظيفة الإنسان على الأرض، والمصير: هـو الحيـاة الأخرى بعد المـوت ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقـرة: ٢٨].

هـذه الأجوبة فصّلها القرآن الكريم، ونشـأ عن هذا التفصيل أبـواب العقيدة المعروفة، فالقرآن تحدث عن الخالق – سبحانه وتعالى –، من حيث وجوده وتوحيده وأسماؤه وصفاته وأفعالـه، وتحـدث عـن العبـادة، من حيـث أنها طاعـة لله، لأمره ونهيـه، وأن هـذه الأوامر والنواهي يعرفها الإنسان عن طريق رسل الله –عليهم الصلاة والسلام– فبحث القرآن ما يتعلق بهؤلاء الرسل من حيث: أسماؤهم وصفاتهم، ودليل صدقهم، ونحو هذا، ثم تحدث القرآن عن اليوم الآخر من الموت إلى يوم الحساب والجزاء، هذه هي عقيدة القرآن.

لكن هذه المباحث في القرآن الكريم لم ترد تحت اسم «العقيدة» وإنما جاءت في الغالب تحـت مظلة «الإيـمان» الذي هو أسـاس العمـل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشـعراء: ٢٢٧]، ولا يخفـى أثـر تطـور العلـوم الشرعيـة وتبويبهـا وتفريعهـا في ظهور المصطلحات المختلفة، ولا مشـاحة في الاصطلاح.

ثانيـا: لقـد جاءت عقيـدة القرآن واضحـة ليفهمهـا كل الناس، مفصلة لكـي لا يحتاج

---

(١) انظر: «قصة الإيمان» لنديم الجسر: ٢٠، ٢١ . وكيف صوّر أن الشيخ لما قرأ لما هذه الأسـئلة وشـبهها في الورقة الصغيرة «ترنح مغشياً عليه» .

الإنسان لغير وحي الله، متناسبة مع وظيفة الإنسان وإمكانياته العقلية والنفسية، فلم تحدّث الإنسان إلا بما يصلحه وينفعه في دنياه وآخره.

ثالثاً: ولقد أثمرت عقيدة القرآن إنساناً سوياً، تفجرت فيه الطاقات الكامنة، فكانت حضارة الإسلام ودولته الكبيرة العظيمة.

رابعاً: إلا أن حديث القرآن عن الغيب كان لا بد أن يكون بلغة الإنسان التي يتعامل معها في عالم الشهادة لكي يفهمها، لكن هل وضعت هذه اللغة لتعبر عن عالم الغيب؟! بمعنى هل ستعبر لغة الشهادة عن حقائق الغيب والتعبير الصادق المستقيم الذي لا يثير أي إشكال أو اشتباه؟! لنأخذ مثالاً واحداً: قوله تعالى عن الجنة: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣٣]، فهل هذا كله حقيقة؟ أي هل هذا ما نعرفه في الدنيا؟ لقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء"[(١)]!!! إذاً فالسدر ليس هو هذا السدر الذي نعرفه، ولكن لماذا يسميه الله سدراً إذا لم يكن هو هو؟ إن الله لو سماه لنا باسم آخر فهل سيحصل الترغيب بالجنة وثمارها[(٢)]؟! إن الإنسان لا يرغب إلا ما ألفه من النعيم واللذة، ولهذا جاءت آيات الترغيب كلها مألوفة لديه، إذاً فالإنسان لا يفهم إلا لغته، وحديث القرآن عن جوانب العقيدة كلها جاء بلغته المألوفة لكن لتعبر عن حقائق غيبية ليست مألوفة ولا معروفة، فكان لابد أن يحدث الإشكال في الفهم والتفسير.

إلا أن القرآن عصم الجيل الأول من الانزلاق في هذه المتاهة بمنهج القرآن العملي الذي قاد ذلك الجيل إلى ميادين الجهاد والبذل والعطاء، فكانت التربية القرآنية تدفع الإنسان لأداء وظيفته بالصورة لأجد والأكمل، آخذاً من نصوص العقيدة المعنى المتعلق بالغاية والوظيفة، مبتعداً عن معاني الغيب المطلق الذي لا علاقة له بميادين العمل .

## المحور الثاني: خلاصة العقيدة التي جاء بها القرآن:

ربما نستطيع أن نلخص عقيدة القرآن الكريم بالنقاط الآتية:

---

(١) «مجموع الفتاوى» ٣/ ٢٨ .

(٢) وإذا كانت هذه الإشكالات تحصل عند الحديث عن الجنة بلغة الدنيا، وكلاهما مخلوقتان، فكيف إذا كان الحديث بلغة الإنسان المخلوق عن الله الخالق العظيم؟! .

أولاً: في موضوع "الإلهيات" بحث القرآن المسائل الآتية:

١- إثبات وجود الله، ولم يتحدث القرآن عن هذه المسألة بصورة مباشرة، ولم يقف عندها طويلاً، إذ الإيمان بوجود خالق لهذا الخلق ضرورة عقلية، وغالب أدلة القرآن هنا جاءت لإثبات مسائل أخرى، إلا أنها تتضمن إثبات الخالق -سبحانه- ويمكن اعتبار أبرز الأدلة التي ساقها القرآن هو: دليل الاختراع والعناية، الذي كرره القرآن كثيراً، ولخصه القرآن بقوله: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ الطور، وقد نجح القرآن في تحريك الفطرة الكامنة في داخل الإنسان، ثم في إظهار عجز المشركين ومعبوداتهم عن أن يخلقوا كخلق الله ولو اجتمعوا له، ثم في عجزهم عن مجاراة معجزة الرسول ﷺ، وهذه وإن سيقت لإثبات صدق الرسول إلا أنها تحمل دليل وجود المرسل، ومن باب أولى .

٢- إثبات وحدانيته تعالى، والوحدانية التي جاء بها القرآن يمكن ترتيبها على النحو الآتي:

أ- إثبات وحدانيته تعالى في الخلق: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ [الزمر: ٦٢].

ب- إثبات وحدانيته تعالى في الملك: ﴿ ...وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢].

جـ- إثبات وحدانيته تعالى في الحكم والتشريع، والأمر والنهي: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٦]، ﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ... ﴾ [المائدة:٤٤].

د- إثبات وحدانيته تعالى في العبادة والطاعة المطلقة، وهذه متعلقة بما قبلها، بل هي ثمرتها الحقيقية: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١]، وعدّ القرآن هذه هي غاية الخلق: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هـ- إثبات وحدانيته تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في كل ذلك:

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥].

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٦].

وقد استخدم القرآن الأدلة المقنعة لإثبات وحدانيته تعالى بكل جوانبها، فاستخدم دليل الاختراع والعناية الذي لا يستطيع أحد أن ينازع الله فيه، واستخدم دليل النظام الموحد، أو عدم فساد الكون إذ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ونجح

فعلاً في تحريك الفطرة الكامنة الشاهدة بالوحدانية: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ [الإسراء: ٦٧]، ثم أثبت فقدان أهل الشرك للدليل، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤].

٣- أسماؤه تعالى وصفاته، فقد وصف الله نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء، وكل أسمائه تعالى تحمل معاني يستفيد منها الإنسان في أداء مهمته ووظيفته، فمن أسمائه تعالى ما يدل على الوحدانية، ومنها ما يدل على عظمته تعالى وكبريائه، ومنها ما يدل على رحمته ورأفته بخلقه، ومنها ما يدل على علمه الشامل المطلق، وهكذا صفاته تعالى، إلا أن القرآن وردت فيه بعض الإضافات البعيدة عن هذه المعاني والبعيدة عن أسمائه تعالى كالوجه واليدين، وقد أشكل معناها على المتكلمين، إلا أن المقصود منها جليّ في الغالب لا يحتاج إلى تكلف، وما بعد المقصود لا ينفع الإنسان، ولو علم الله أنه ينفعه لفصله، والله أعلم .

٤- عقيدة القدر، ويمكن متابعتها في القرآن على النحو الآتي:

أ- أثبت القرآن لله تعالى الإرادة المطلقة: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦].

ب- ومع الإرادة المطلقة، أثبت القرآن العدل الإلهي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

جـ- وأنه تعالى جعل الدنيا دار ابتلاء لا دار عدل وجزاء، فقد يبتلي إنساناً بالمرض وآخر يبتليه بالصحة!! ويبتلي إنساناً بالفقر وآخر بالغنى!! وهكذا ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

د- وعلى هذا حث القرآن على الصبر والشكر، الصبر على المصيبة والشكر على النعمة، إذ الصبر والشكر ثمرتا الابتلاء المتقدم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١١٤].

هـ- وطالب المسلم أن لا يخشى المستقبل المجهول، فكل شيء بقدر، وهو مستعد للابتلاء المستمر بالشر والخير، وإن الحذر لا يقي من القدر، وإن الهرب لا ينجي من الموت، ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وإن هذه العقيدة هي التي فعلت الأعاجيب في ميادين الوغى وسوح الاستشهاد!!.

هذه عقيدة واضحة جلية، ويقابلها عقيدة الأمر، وهي أيضاً واضحة، فالله يأمر عباده بما يشاء، ويثبت القرآن إرادة الإنسان الحرة التي قام على أساسها تكليفه بالأمر:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ الشمس، والقرآن ينسب الفعل لفاعله طاعة أو معصية، ولم يتطرق القرآن إلى تلك الأسئلة الحرجة التي تريد أن تكشف وجه العلاقة بين إرادة الله المطلقة وإرادة الإنسان في تنفيذ الأمر، لأن هذا،-لو صدق الإنسان مع نفسه- لا قيمة له في ميدان العمل!!.

ثانيا: في موضوع «النبوات» بحث القرآن المسائل الآتية:

١- أهمية وجود الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وبين القرآن أهميتهم من خلال مؤشرات كثيرة، منها ربط الإيمان بهم بالإيمان بالله- تبارك وتعالى-، ومنها كبر المساحة التي اقتطعها مبحث النبوات من مجمل آيات القرآن الكريم، ومنها إنذار المكذبين لهم بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة.

٢- فصّل القرآن صفاتهم المتعلقة بوظيفتهم الرئيسية، كالصدق والتبليغ والأمانة والحكمة وحسن القيادة ولين الجانب والشجاعة، ولكي لا يذهب المغالون بهذه الصفات بعيداً فيخلطوا بين مقام العبد ومقام المعبود سجل القرآن مؤشرات بشريتهم كالمرض، والجوع، والتعب، ثم بين بعض الزلات التي وقعوا بها، وكل هذا ليحدث القرآن الموازنة المطلوبة في التصور الصحيح عن مقام النبوة.

٣- وبين القرآن مهمتهم الأساسية، وهي التبليغ: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى:٤٨]، وبين ما يتعلق بها كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- وذكر القرآن بعضاً من أسماء الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وسكت عن آخرين: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]، وقد اهتم القرآن بقصص بعضهم أكثر من الآخرين، وأبرز قصة رعاها القرآن واهتم بها هي قصة موسى- عليه السلام-، فقد تحدث عنه حملاً، ورضيعاً، وكبيراً، وتحدث عنه ابناً، وأخاً، وزوجاً، ونبياً، وتحدث عنه ضعيفاً، وقوياً، وطريداً، وقائداً، وتحدث عنه وهو يحاجج فرعون وقومه، وهو يتحدى السحرة، وهو يقود بني إسرائيل، ويعاني منهم ما يعاني ولكن هذا كله مقصود – لا شك – فالشخصية الفرعونية شخصية مكررة في التاريخ ومشاكل بني إسرائيل مشاكل متكررة أيضاً، بل إن عرض النفسية الإسرائيلية من خلال تأريخها الطويل نافع للأمة الإسلامية في صراعها الطويل مع أولئك.

٥- وتحدث القرآن عن دليل صدق الأنبياء، فذكر مع أغلب الأنبياء معجزات يعجز البشر عن أن يأتوا بمثلها، فذكر عن نار إبراهيم، وعصا موسى، وإحياء عيسى للأموات،

ومعجزة القرآن الخالدة.

٦- وتحدث القرآن عن الوحي بمقدار ما يحتاجه الإنسان، فبين أن لا طريق لسماع كلام الله، إلا عن طريق الإلهام، أو من وراء حجاب، أو يرسل ملكاً مكلفاً بإيصال الرسالة إلى الرسول البشري، ولم يشأ القرآن أن يخوض بنا في غمار الغيب المطلق.

٧- وتحدث القرآن عن الرسالات السابقة فذكر التوراة، والإنجيل، والزبور، والصحف، وأكثر الحديث عن التوراة، ثم عن الإنجيل، واختصر حديثه عن الزبور والصحف، والغاية من كل هذا واضحة ومعروفة.

٨- وتحدث القرآن عن القرآن، وبين أنه معجز، وتحدى الإنس والجن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وبين أنه عام لكل الناس: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ الفرقان، وبيّن أنه بيان وتفصيل لكل شيء، وأنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الرسالة الخاتمة التي جاء بها خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثالثا: وفي موضوع "السمعيات" تحدث القرآن بإسهاب عن اليوم الآخر، ذاكرا حتميته، ودليل ثبوته، وناقش المشركين في ذلك: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يس، وفصّل القول فيه فتحدث عن الموت والبرزخ، وتحدث عن الساعة وأشراطها، وتحدث عن البعث، والحشر، والحساب، والجنة، والنار، وتحدث عن الشفاعة مبطلاً شفاعة الأوثان، وشفاعة من لم يأذن له الله، ومثبتاً الشفاعة الحقة التي تكون بعد إذن الله- تبارك وتعالى-، وتحدث عن تفاصيل النعيم الأخروي بأساليب متنوعة، تجعل القارئ كأنه يلمسها ويتذوقها، وتحدث عن العذاب وصوره بالطريقة التي تجعل الإنسان يهرب من التفكير بمعصية الله، وكان لكل هذا الدور الكبير في تقويم الإنسان وتطهير المجتمع.

وتحدث القرآن في موضوع السمعيات عن بعض العوالم الغيبية فتحدث عن الملائكة، وكان حديثه عنهم منصباً على الجوانب المسيسة بميداننا التكليفي، مبتعدا عما لا يمسنا نحن، فتراه يحدثنا عن وظائفهم المتعلقة بنا كإيصال الرسالة وقبض الأرواح ونصر المؤمنين والاستغفار لهم، وتسجيل الحسنات والسيئات ونحو هذا، بينما لم يحدثنا القرآن عن طبيعة حياتهم وأعمارهم وعلاقة بعضهم ببعض، ونحو هذا.

وحدثنا القرآن عن الجن مما يمس واقعنا أيضاً، فقسمهم إلى صالحين وطالحين، وحذرنا من اتباع وساوس شياطينهم، وضرب لنا مثلاً عن غواية أبي الشياطين «إبليس» لأبينا آدم -عليه السلام-، ولم يحدثنا القرآن عن الجن من حيث حياتهم وأعمارهم ومعيشتهم ونحو هذا، وكل هذا يؤكد قضية كبيرة وهي أن عقيدة القرآن عقيدة عملية، تهتم بالجانب العملي النافع، مبتعداً عن الجانب النظري المجرد.

هذه هي خلاصة العقيدة القرآنية وقد رأيتها كاملة من غير نقص، سهلة من غير غموض، متناسبة مع كل الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والنفسية، قادرة على إقناع رائد الفضاء، وراكب الجمل.

وهذه باختصار هي جملة ما خطر في بالي وأنا أقلّب الصفحة الأخيرة من هذا البحث، وربما يستطيع القارئ أن يسجل استنتاجات أو ملاحظات أخرى، وكلي أذن صاغية لمن يهدي إليّ أي مقترح أو نصيحة، ونسأله تعالى في الختام حسن الخاتمة.

تم بحمد الله ..



# المصادر

١) الإرشاد إلى واقع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم، مصر/ مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ(١٩٥٠) م.
٢) الاستخلاف والتركيب الاجتماعي في الإسلام: د. عبد الجبار السبهاني، وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغداد/ كلية الإدارة والاقتصاد، ١٤٠٥هـ(١٩٨٠)م.
٣) الأسماء والصفات: البيهقي، المطبوع مع كتاب(فرقان القرآن) بيروت/ دار إحياء التراث العربي، د ت.
٤) أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، بيروت/ مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٨هـ(١٩٨٧)م.
٥) أصول الدين الإسلامي: د. رشدي عليان، و د. قحطان الدوري، جامعة بغداد، ط٣، ١٤٠٦هـ(١٩٨٦)م.
٦) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أبو بكر البيهقي، بيروت/ دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠١هـ(١٩٨١)م.
٧) إنجيل متى: المطبوع ضمن(العهد الجديد) ولم أجد عليه اسم المطبعة ولا التاريخ.
٨) أهوال القيامة: عبد الملك الكليب، دار الأنبار للطباعة والنشر، ط٤، ١٤١٠هـ.
٩) التجريد الصريح، مختصر صحيح البخاري: الحسين بن المبارك الزبيدي، دار إحياء العلوم، بيروت ط١، ١٤٠٦هـ(١٩٨٦)م.
١٠) التذكرة: القرطبي، القاهرة/ دار الريان، ط٢، ١٤٠٧هـ(١٩٨٧)م.
١١) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، د ت.
١٢) التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد/ بيت الحكمة، د ت.
١٣) تفسير آيات الصفات: د. محسن عبد الحميد، ليس عليه دار النشر ولا التاريخ.
١٤) تفسير ابن عطية الأندلسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط١، ١٤٠٥هـ(١٩٨٥)م.
١٥) تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم): الإمام ابن كثير الدمشقي، بيروت/

دار الجيل، ط٢، ١٤١٠هـ(١٩٩٠)م.

١٦) تفسير الزمخشري المسمى(الكشاف): محمود بن عمر الزمخشري، بيروت/ دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ(١٩٨٧)م.

١٧) تفسير الطبري المسمى(جامع البيان): ابن جرير الطبري، بيروت/ دار الفكر، ١٤٠٨هـ(١٩٨٨)م.

١٨) تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مصر/ عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ت.

١٩) تنبيهات في الرد على من تأول الصفات: الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالح بن فوزان الفوزان، الرياض/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (١٤٠٥)هـ.

٢٠) تهافت الفلاسفة: حجة الإسلام الغزالي، تحقيق: د. سليمان دنيا، القاهرة/ دار المعارف، (١٩٦٦)م.

٢١) التوحيد وإثبات صفات الرب: ابن خزيمة، المطبعة المنيرية، ١٣٥٤هـ.

٢٢) حوار صحفي مع جني مسلم: محمد عيسى داود، ط١، ١٤١٣هـ(١٩٩٢)م.

٢٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، ط٥، ١٤٠٨هـ(١٩٨٨)م.

٢٤) دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي، القاهرة/ مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٠٦هـ(١٩٨٦)م.

٢٥) السراج الوهاج، شرح على صحيح مسلم: صدّيق حسن خان، تحقيق: عبدالله الأنصاري، وزارة الأوقاف، قطر د ت.

٢٦) سنن أبي داود: القاهرة/ دار الحديث، ١٤٠٨هـ(١٩٨٨)م.

٢٧) سنن الترمذي: المسمى(الجامع الصحيح) بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت/ دار الكتب العلمية، د ت.

٢٨) السيرة النبوية: الحافظ ابن كثير الدمشقي، بيروت/ دار الكتب العلمية، د ت.

٢٩) شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، القاهرة/ مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ(١٩٦٥)م.

٣٠) شرح العقيدة الواسطية: لابن تيمية، محمد خليل هراس، المملكة العربية السعودية،

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ.

٣١) صحيح مسلم بشرح النووي: بيروت/ دار إحياء التراث العربي، د ت.

٣٢) الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة: د. محمد عياش الكبيسي، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ٢٠٠٠م.

٣٣) العقيدة الإسلامية وأساسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم ط٢، ١٣٩٩هـ(١٩٧٩)م.

٣٤) العقيدة وأثرها في بناء الجيل: د. عبد الله عزام، عمّان/ مكتبة الأقصى، ط٣، ١٤٠٠هـ(١٩٨٠)م.

٣٥) العقيدة والفطرة في الإسلام: صابر طعيمة، بيروت/ دار الجيل، ط١، ١٣٩٨هـ(١٩٧٨)م.

٣٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، بيروت/ دار الفكر، د ت.

٣٧) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط١١، ١٤٠٥هـ(١٩٨٥)م.

٣٨) القرآن والملحدون: محمد عزة دروزة، دمشق/ المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٣هـ(١٩٧٣)م.

٣٩) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: نديم الجسر، بغداد/ دار التربية، د ت.

٤٠) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية، د ت.

٤١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، الكويت/ دار الرسالة، ١٤٠٣هـ(١٩٨٣)م.

٤٢) مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، إيران/ دار الكتاب الإسلامي، د ت.

٤٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة، بيروت/ دار العلم للملايين ط١٥(١٩٨٥)م.

٤٤) الملائكة: سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، الموصل/ مطبعة الزهراء الحديثة، ط١، ١٤٠٤هـ(١٩٨٤)م.

٤٥) المواقف: عضد الدين الايجي، بيروت/ عالم الكتب، د ت.

٤٦) نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق الفرد جيوم

الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد ولم أجد عليها دار الطبع ولا التاريخ.

٤٧) الهدي والبيان في أسماء القرآن: صالح بن إبراهيم البليهي، الرياض/ المطابع الأهلية، ط١، ١٣٩٧هـ.

٤٨) اليوم الآخر: د. عمر سليمان الأشقر، الكويت/ مطبعة الفلاح، ط٢، ١٤٠٨هـ(١٩٨٨)م.

❊ ❊ ❊

# فهرس المحتويات

